

عبلة الرويني

دار سعاد الصباح

الجنـوبي

الطبعـــة الأولـــى ١٩٩٢

دار سعـــاد الصبـــاح
ص.ب : ٢٧٢٨٠
الصفـاة ١٣١٣٣ ـ الكويـت
ص. ب: ١٣ المقطم ـ القاهرة

رقم الإيداع : ١٩٩٢/١٧٧٩
I.S.B.N. 977 - 00 - 2571 - 2

الاشراف الفنى : حلمى التونى



أمل دنقل

الجنوبي

عبلة الرويني



* لن أطلب منكم الوقوف حداداً

فنحن إذا وقفنا حـداداً ، سيكون الحداد على عصر طويل قـادم ، حداداً على العصر الذي سيمضي حتـى يشب فيه رجال لهم شيـم الرجال الذيـن كان يراهـم أمل دنقل.. وكـرم الرجال الذيـن كان يحلم بهم أمـل دنقل ، وشرف ونبل و إنسـانية وشجاعـة ورقة الرجـال الذيـن استشهد أمل دنقـل وهو يراهم ، هم البشر ويحلم برؤيتهم *

«يوسف أدريس»

«بديلاً عن الانتحار»

تأخذ محاولة العثور على مدخل حقيقي لشخصية أمل شكل الصعوبة حين نصطدم فيه بعالم متناقض تماماً ، يعكس ثنائية حادة كل من طرفيها يدمر الآخر ، ويشتت الكثير من أشكالها .. إنه الشيء ونقيضه فى لحظة نفسية واحدة يصعب الإمساك بها والعثور عليه فيها :

فوضوي يحكمه المنطق ، بسيط فى تركيبية شديدة ، صريح وخفي فى آن واحد ، إنفعالي متطرف فى جرأة ووضوح ، وكتوم لا تدرك ما فى داخله أبداً .

يملأ الأماكن ضجيجاً وصخباً وسخرية وضحكاً ومزاحاً .. صامت إلى حد الشرود يفكر مرتين وثلاثاً فى ردود أفعاله وأفعال الآخرين ، حزين حزناً لا ينتهي .

استعراضي يتيه بنفسه فى كبرياء لافت للأنظار .. بسيط بساطة طبيعية يخجل معها إذا أطريته وأطريت شعره ، وربما يحتد على مديحك خوفاً من إكتشاف منطقة الخجل فيه .

صخري ، شديد الصلابة ، لا يخشى شيئاً ولا يعرف الخوف أبداً .. لكن ، من السهل إيلام قلبه .

يكره لون الخمر فى القنينة ، لكنه يدمنها إستشفاء .

قلق ، لا يحمل يقيناً .. تاريخ معتقداته حافل بالعصيان ، لكنه غير ملحد .

صعيدي محافظ ، عنيد لا يتزحزح عما فى رأسه ، وقضيته دائماً هي الحرية، ومشواره الدائم يبدأ بالخروج .

عاشق للحياة ، مقاوم عنيد ، يحلم بالمستقبل والغد الأجمل مع قدر كبير من

العدمية يزدري فيها كل شيء ، ويدمر كل شيء ، ويؤمن بحتمية موته .

... ...

يحتاج الأمر إلى قدر كبير من الحب ، وقدر كبير من الفهم والاستيعاب لطبيعة أمل المركبة العسيرة ، حتي لا يجهدنا عناء البحث عنه داخل هذا المناخ الفوضوي الغريب ، فتوقف عند أسطحه المدببة ، وصخوره الجرانيتية منزعجين.

والمحاولة لاشك تأخذ شكل الصعوبة للوصول إلى طبيعة هذا التوازن المحكم الذي أحدثه أمل داخل هذا العالم المتفجر بتناقضاته الحادة :

نقتل أو نقتل
هذا الخيار الصعبْ
وشلّنا بالرعبْ
تردّد العزلْ

ولعله ليس الخيار الصعب كما ظنه أمل ، بل هو التوازن الأصعب الذي وحده الشعر ، فكان صلب توازنه الحقيقي ، وكان بديل الانتحار فى هذا العالم المتواتر المرعب ... فبدون الشعر تشق النفس نفسين ، والجسد جسدين ، والروح روحين ، ويتعجل مصيره الحتمي نحو الموت .

لكن الشعر ، هذا الخلق الذي يبلغ حد التناسق ، يحول هذا السعي الحتمي نحو الموت إلى مقاومة وتحد ، ومن هنا يكتسب مفهوم الشعر لدى أمل ـ كبديل للإنتحار ـ معني الثورة .

وحدة الشعر ، هو التماسك العقلي والنفسي القوي ، والإتساق الوحيد ، والبناء الموضوعي الشديد الإحكام الذي حقق لأمل إعادة خلق العالم المرفوض حوله من جديد لحسابه الخاص .

ولقد أدرك أمل دائماً أن قوته الحقيقية هي شعره ، ولهذا لم يتخيل فى أي

لحظة من لحظات تعامله وحياته ، عن سـلاحه الوحيد كتابة الشعر . إن المدخل الحقيقي إلى شخصيـة أمل يظـل دائماً هو موهبتـه .. فهي التـوازن ، والسلاح القـوي المشـهـر .. انها التفـرد والتمايـز .. الـزهـو والثقـة والكبريـاء ، القـوة والوضـوح.. الصدق وشرف القلب الدائم .. والثورة .

... ...

كل شيء يبدو مقلـوباً على رأسه ، ولهذا تظل محاولة الدخـول إلى عالم أمل هي محاولة لمشـاركته عذابه فى منع واختلال الصـورة ، وفي محاولة إعادتها إلى وضعها الطبيعي أو وضعها الجميل بالشعر .

* * *

كل شيء متناثر كأنه الفوضى .

كلمات طائشـة حادة ، غضب مفاجـئ ، أيام غير معلومة ، صعلـوك لا يرى الشمس إلا نادراً حين يحول الليل إلى نهار ، والنهار يقضيه نوماً طويلاً .

يقرأ فى أي مكان شـاء فى استغراق تام وسط مجموعـة فى سهرة ، أو وحده ، وسط بحيرة مـن الأوراق ، والكتب ، والجرائد ، والأقلام فوق سريـره . يكتب فى كل مكان .. فى المقهـى ، فى الشارع ، فوق مقعد ، فى منـزل أو داخل مستشفي ، ينفق كل أمواله فى ليلة واحدة ، ثم ينام جوعاً فى الليلة التالية .

لا يوجد له عنوان محدد :

مقهي ريش .. أتيليه القاهرة .. دار الأدباء

تلك كانت صناديق بريده ، وأماكن العثور عليه .

يقاسـم أصدقـاءه غرفاتهم ونصـف السرير ، ونصـف الرغيـف ، ونصف اللفافة ، والكتب المستعارة ... ثم يمضي تاركاً ذكرياته ، وأوراقه ، وشعره وكتبه ، وملابسـه .. فى غرف الأصدقـاء بعدما حفـر كل شيء فى عقلـه بدقة متنـاهية وذاكرة حديدية .

إن تلك الفـوضي تدخل فى عالمه الـداخلي ، لتصبح محكومة تمامـاً بمنطقية

صارمة ، بل وتضعنا وجهاً لوجه أمام منطقية خاصة بأمل وحده ، هي منطقية الفوضى .

* * *

لا يحب أمل منطقة الوسط ، ولا ينتمي للمناطق الرمادية ، يمقت الحلول الوسط ، ويحتقر الانفعالات الوسط ، ويتحدى الطبقات الوسطي .

إنه يتلف الألوان جميعها ليظل الأبيض والأسود وحدهما فى حياته .. يحب أو يكره ، يبارك أو يلعن .. هارب دائماً من كل مناطق الحياد التي تقتله .

يحب إلى درجة أنه ينسى شجارك معه ، ويعذبه توترك العصبي . (يغضب منه يحيي الطاهر عبد الله ، ويلعنه غاضباً ، فيترك له أمل المائدة ، ويرسل إليه صديقاً يهدئ من روعه فى تلك اللحظة التي يحتاج فيها يحيى إلى رفيق).

يحب إلى درجة أن يمسح دموعي فى لحظات الشجار العنيف ، وأنا أمزق ثيابه ، وأمزقه .

ويكره إلى درجة النسيان وإلغاء الشخص تماماً .. إلى درجة قسوة القلب وعدم المغفرة ..

فما الصلح إلا معاهدة بين ندين
في شرف القلب لا تنتقص

* * *

استعراضي يبحث عن لفت الأنظار إليه دائماً .. يهوى الملابس الغريبة والألوان الخاصة ، والقداحات الأنيقة اللافتة .. يقف أمام المرآة زمناً طويلاً عندما يرتدى ملابسه ، ثم يذهب إلى مواعيده متأخراً .

يخاصم أصدقاءه إذا دخل عليهم فلم يتهللوا واقفين جميعاً فى فرحة بلقائه ، يقتحم الآخرين إقتحاماً ، ويبادرهم بالسؤال المباغت فى أشد مناطق خصوصياتهم ، وكأن الحياء لم يمر ببابه ، لكنه يرفض منطق السؤال له

فلايسمح لأحد بـاقتحامه ، والقاء السؤال عليه ، ومحاولـة التفتيش فى داخله .. ثم ينتابه الصمـت والخجل إلى حد العبث بالأشياء حولـه ، والعبث بشعر رأسه وأبعاد الكلمات ، إذا أطريت شعره وأطريته .

إنفعالي حاد يتشاجر فى لحظات الغضب الأكبر بالأيدي والكراسي والسباب، يهوى المشاحنات الكلامية ، والمداعبـات الحادة فى جرأة مستفزة .. وهو فى ذات الوقـت عقلاني يحسـب دائماً ردود أفعاله تجاه الأشيـاء ، ويستدل بـالمنطق ، ويحيل هذا المزاج الشعوري المتطرف إلى بنـاء عقلاني متماسك متضافر ، دون خطوط رجعة .

بسط لي يوماً يديه :

«قال لي صديق مقـامرأن أصابعك الطويلة النحيلة أصـابع مقامر محترف ، لكني لا أحب المقامرة» .

لم يحب أمل المقامرة ، فالعقل دائم الصحوة ، مزهو بحسابات الغد المحكومة بدقة ، والتي لا تستطيع قبول هزيمة الغد على الاطلاق ، أو حتي الرهان عليها .

لاعب شطرنج ماهر يحرك جنوده بدقـة .. ولاعب طاولة عنيد ومشاكس ... كنا نتشاجـر فى اليوم الواحد مرات عـديدة .. يهزمني لكن الأمر يصبـح مأساة بانتصاري ...

أهتف فى وجهـه (انتصرنا .. انتصرنا) فيقلب رقعـة الشطرنج ويرمـي زهر الطاولة ، ويغضب بالفعل ، ويخاصم انتصاري .. ثم يطالبني بعد قليل باللعب معه .

* * *

شديد الصلابة كالجرانيت الصخري ، لا يهتز سريعاً بل يصبح من الصعب إدراك طبيعة الفرح أو الحزن مـن ملامح وجهه ومن نظرات عينيـه ، فهو قادر دائماً على كتمان إنفعالاته بل ، وأحياناً على إظهار عكسها .

لا يفصح عن مشاعره ولا تدخل قواميسه عبارات الإطراء وألفاظ الحب ، إن

إخفاء مشاعـره ، وكتمانها ، سمة غالبة عليـه ، وعلي الآخرين وحدهـم إدراكها دون إفصاح منه .

كتب يـوما عن صديقـه المثال ـ عوني هيكـل ـ هذه الكلمات ـ فخلتـه يكتب نفسه :

«دائماً الخوف مـن أن يكتشـف الآخـرون كـم أنت رقيـق ، فيـدوسـونـك بسنابكهم!

إن الصمت النبيل الكـامن يدافع عن نفســه بصوتين متنافريـن ، فهو يلفت الأنظار إلى الخشـونة المتعمدة ـــ والتي يجب أن تبـدو كأنها لا متعمدة ـــ حتي يضلل الناس عـن الرقة الحزينة التـي لوحتها شمس الأيـام .. ودارت عليها يد الفنان ، فلا ترتفعان إلا إذا آمن عليها من جنون الريح !

هل هو الإحساس بالغرق : هذا الذي يجعـل اليدين اللا إنسانيتين ترتفعان وتحاولان أن تضربـا صفحة الموج لكـي تظل النفس البسيطة المرهفـة طافيـة (وغارقة فى نفس الرقة!) على سطح الحياة».

...

أسماه الصديق الشاعر حسن توفيق (هرقل) وكان أمل مزهواً بالإسم :

آه لـــو أمـــلك ســـيفا للصـــــــراع
آه لـــو أمــــــلك خمســــــين ذراع
لتسلمت ـ بإيماني الهرقلي ـــ مفاتيح المدينة .

أسماه الصديق الدكتور جابر عصفور (سبارتاكوس) فهو السائر دائماً إلى إنتصاره فى الموت .

كانـت تلك الجرانيتية الحادة تضيئه وضـوحاً فى نفس اللحظة التـي يخبئ كتمانـه الكثير فى داخله ، ويحول كـل الصلابـة ، والحدة ، والتطرف إلى أقنعـة يتوارى خلفها قلبه النبيل الذي أرهقته مرارة الأيام .

كان من السهـل تفجير قلبه ، والإطاحة بـه ، ولو بإيماءة صغيرة .. ولهذا لم

يكن يستطيع أن يحب إلا من يصعب عليهم إحداث ذلك إذا أدركوا .. ولم يدرك إلا قليلون للغاية هذا القلب المرهف المحاصر عن عمد بالحراب الصلبة المدببة .

* * *

في صباه الباكر كان شديد التدين .. لا يترك فرضاً ، يلقي خطب الجمعة فى المساجد ، ويحمل عهداً وطريقاً على منهاج الشيخ إبراهيم الدسوقي .

ثم ترك النشاط الديني فى شبابه معجباً بالماركسية والوجودية .. لكن القلق الميتافيزيقي ظل يحمله فى داخله دائماً .. رافضاً يقينية الشرائع والأفكار باحثاً دوماً عن الحقيقة والإطمئنان الكامل ..

ومتى القلب فى الخفقان اطمأن

إنه السؤال الذي يكسر أقوى القلوب .. ولعل طرح التساؤل بهذه الكيفية يحفل بالعصيان ، والتحدي ، وليس بالإنكار .. فهو لا ينكر الله أساساً ولكنه يخاطبه ، ويناقشه ، ويبحث دائماً عن الإجابة لسؤال صعب لم يجده أبداً .

* * *

صعيدي حتى النخاع .. شديد الغيرة فى كبرياء .. شديد النقاء .. شديد العناد.. شديد الثأر ..

الدم .. أو يعود كليب حيًا

ولعل الاختيار كان دائماً فى أعماقه محسوماً بالمستحيل (أن يعود كليب حياً) وبرغم ذلك كان هدفه الأكبر ومطلبه الدائم هو الحرية .. إنها سمة وصراعاً دائماً لتحقيقها ، إنها كينونته الحقيقية التي ظل يبحث عنها ، ويكسر كل شيء من أجلها ، وهي أيضاً الغد القادم ، والغاية ، والمنتهي ..

إن الحرية هي المستقبل

قالها يوماً ، كأنه لم يحققها بعد .

* * *

يتزايد التناقض ، والتناثر والتشتت ، والقلق الذي يحكم كل الأشياء حوله

وفي داخله ، ليكشف التناقض الأكبر (الحياة والموت) .

فهذا العاشق أبداً للحياة ، وكأنها الأبد ، يحمل فى كل لحظة الموت فى أعماقه ، مردداً دائماً (إنني ابن الموت) ومتنبئ به دائماً .

في العشرين من عمره ذكر أنه ، ولابـد ، منتحر فى الثلاثين .. وفي الثلاثين أكد أن حياته لا بد وأن تنتهي فى الأربعين .

في السابعة عرف فقد الأخت (١٩٤٧) .. وفي سن العاشرة عـرف فقد الأب (١٩٥٠) ثم فقد الأهل (الغرباء) .. وفقد المدينة وفقد الوطن .

هذا الفقـد المتواصـل وضعه دائماً فى مواجهـة الموت ، لكنه لم يفقـده لحظة عشقه للحياة ، لأنه لم يعـرف لحظـة فقـدان ذاتـه وضياع نفسـه .. إن هـذا الاستمتاع بالحياة هو نتاج وعي بالموت كحقيقة ، وإدراك لحتميته .

ظل الموت دائماً هو الحقيقة ، وثمن الطريق .. وظلت حياته دائماً هي الصراع والمقاومة المستمرة حتي النهاية فمن رآه رأى دمه .

إنها الموهبة ..

وإنه الشعر .. المدخل ، والتجربة وإنتصارها .

«البحث عن المحارب الفرعوني»

كان مقهي ريش هو بداية الطريق إلى أمل دنقل .. إنه الملامح والمكان والهوية الذي بدأت منه رحلة البحث عن شاعر ، لا أعرف ملامح وجهه .

الزمان أكتوبر ١٩٧٥ .

عندما فكرت ، فى بداية عملي فى جريدة الأخبار ، خلال فترة التدريب الأولى ، وقبل أن يتم تعييني ، فى كسر كل الإشارات الحمراء والخضراء والصفراء وإجراء حوار مع الشاعر أمل دنقل .

قال لي أحد المحررين السياسيين فى جريدة أخبار اليوم :

ـ ستجدين صعوبة فى نشر اللقاء ، فأمل شاعر يساري ، لن تسمح الجريدة بنشر حوار معه ، لكن ربما يمكنهم نشره فى طبعة أخبار اليوم العربية فمن الممكن تصدير أمل دنقل عربياً ، لكنه غير مسموح بإستهلاكه داخل مصر !!

أصابتني كلماته بصاعقة فجرت مساحات التحدي داخلي ، وأطلقت لأفكار مثالية أبعد من سياسة الجريدة عنان الحركة ، فلماذا تأخذ الجريدة موقفاً من شاعر ؟ بل كيف تأخذ الجريدة موقفاً من عقل الصحفي ؟!

ـ سأجري الحوار !

ضحك ساخراً :

إذن حذار منه ، ستجدينه سليط اللسان ، شديد القبح مثل كل الشيوعيين تشمين رائحتهم عن بعد !!

* * *

رحت أبحث عن مقهي ريش فى الزمان الذي أعرفه (صباحاً) .. مررت أمام

مقاهي شارع طلعت حرب أسأل مقهى مقهى حتي وصلت إلى مقهى ريش .

لم يكن ريش يختلف كثيراً مـن حيث الشكل عن باقي مقاهــي القاهرة .. بل إن شكله الخارجي لم ينم عن كونه ملتقى الأدباء .. أو حتى عنواناً أنيقاً لشاعر.

أسأل الجرســـون :

ـ الشاعر أمل دنقل ؟

غــير موجــــود .

ترددت أكثر من مـرة على المقهى .. وفي كل مرة كان الزمـان صباحاً وفي كل مرة لا أجد أمل دنقل .

رفق بي أحد الجرسونات :

ـ الأستاذ أمل لا يأتي إلا فى المساء .

ولأني أسكن منطقة مصر الجديدة البعيدة ، فقد كان من الصعب على العودة مرة أخري مساء ، فتركت له رسالة صغيرة :

الأستاذ أمل دنقل

يبدو أن العثور عليـك مستحيل ، يسعدني الاتصال بي فى جـريدة الأخبار ، ويشرفني أكثر حضورك .

إكتفى الشاعر بإسعادي .. متصلاً صباحاً بالجريدة ومحدداً موعداً للقاء .. الثامنة مساء فى دار الأدباء بشارع القصر العيني .

فيما بعـد أدركت أن اتصـــال أمل بي (تليفـونياً) ، وفي (جـريدة الأخبـار) ، (وصباحاً) يعتبر حدثاً فى حياته من الصعب تكراره ، ولعلها رقة سطور الرسالة التي تركتهـا ـ كما قـال لي ـ ولعــله القـدر الذي كان يرســم صورة مستقبل قادم ، ويحتم اللقاء بهذا المحارب الفرعوني القديم .

. . .

في الثامنة تماماً كنت فى دار الأدباء ، المكان شديد الإزدحام بجمهور الأمسية الأدبية ، فاليوم كان (الأربعاء) موعد ندوة الدار الأسبوعية .

صارت الساعة الثامنة والنصف وأنا لا أعرف ملامح وجه أمل .. أسأل فيقال لي : لم يأت بعد .

بعد قليل همس شاب : الأستاذ أمل هو ذلك الجالس فى نهاية الصفوف .

اقتربت من الصف الأخير حيث جلس شخصان :

ـ الأستاذ أمل دنقل ؟

تفحصني أحدهما بهدوء ثم قال : سعادتي !

لم يستفزني الرد ، بقدر ما أعجبتني تلك المحاولة للغرور .. فابتسمت ، طلب لي فنجاناً من القهوة ، ورحت أحدثه عن سبب اللقاء ، ورغبتي فى إجراء حوار معه .. فوافق بسهولة عكس ما قيل لي .

قلت : كنت أظنك أكبر قليلاً !

ضحك بصوت مرتفع : يبدو أن عندك عقدة الكترا !

ولم أستفز أيضاً بل ابتسمت : إطمئن لن أحبك !

كان الانطباع الأول ، الذي كونته سريعاً ، أن هذا الشخص مختلف عن الآخرين ، يتكلم لغة أخرى ، يسلك سلوكاً آخر ، بل ويحس أحاسيس أخرى فمنذ اللحظة الأولى سقطت كل المسافات والإدعاءات والأقنعة ، وبدا لي وجه صديق أعرفه من زمن .

* * *

كان موعدنا الثاني مقهى ريش .

وقد كان ريش فى ذلك الوقت يسبب لي نوعاً من القلق ، كان مجرد دخولي إليه يشعل وجهي بالخجل والإرتباك ، كل الوجوه تتطلع نحوي بفضول غريب وربما ليس نحوي أنا شخصياً ، قدر ما هو تطلع نحو هذه الفتاة الخجول الباحثة عن أمل دنقل .

يبدو أن ارتباكي فضحني فسألني أمل :

ـ هل يضايقك الجلوس فى ريش ؟

رددت بسرعة ـ نعم .

قال : بالفعل لن تستطيعي إجراء الحوار وسط هذا الكم من البشر ، يمكننا الذهاب إلى مكان آخر أكثر هدوءاً ، وهو مكان مريح بالنسبة لي .

كان المكان المريح هو بار فندق كوزمو بوليتان !!

أرفض مقهى ريش الذي يربكني دخوله لأذهب إلى بار لإجراء حوار مع شاعر !!

كانت هذه هي المرة الأولى التي أدخل فيها باراً ، مثلما كان ريش أول مقهى أدخله ، وكان أمل هو أول مصدر صحفي يمنحني حواراً وهو يتناول زجاجة من البيرة !!

لا أذكر كيف بدأ السؤال ، لكن الإجابة الأولى ملأت ثلاث صفحات كاملة انتهت بتمزيقي لها .. حيث راح أمل يحكي عن طفولته الأولى ، وكيف عرف الشعر صغيراً ، وكيف شجعه أستاذ اللغة العربية بالمدرسة على الاستمرار فى كتابة الشعر .. وكان ذلك فيما أظن استطراداً طويلاً خارج إجابة السؤال .. فتوقف فجأة عن الكلام ، وطلب مني تمزيق الصفحا ت ثم اقتصد :

بطاقتك الشخصية :

الاسم : محمد أمل فهيم محارب دنقل

المهنة : شاعر ، قانون الصدفة يحكم علاقته بالشعر ليقف على أرض الهواه لا المحترفين ، لأن تعمد الشعر أو لبس العباءة الشعرية يحرم الشاعر من ميزة التلقائية والتجربة الاجتماعية .

السؤال المطروح : الحرية والحق والجمال والحرية تأخذ الأولوية لأن الحق مرتبط بتحقيقها ، والجمال نتيجة لتحققها .

الموقف: غير محايد ، فالشاعر المحايد شعره منه إليه ، لأن حياد الإنسان يقتل فى داخله الطموح ، والشاعر ليس آلة كاتبة تكتب ما تدق عليها أصابع القدر ، دون أن يكون لها إرادة فيما يحدث .

قــلت : هل تسمح لي بالتعليق على بطاقتك ؟

قـــال : اشربي قهوتك .. وتكلمي !

قـلت : كل معارض مرفوض .. فكيف تعيش كشاعر فى جو من الرفض ؟

قـــال : أنا أعتبر أن الشعر يجب أن يكون فى موقف المعارضة ، حتي لو تحققت القيم التي يحلم بها الشاعر ، لأن الشعر هو حلم بمستقبل أجمل ، والواقع لا يكون جميلاً إلا فى عيون السذج !

كان ذلك جزءاً من أول حديث صحفي يجريه أمل مع جريدة الأخبار (١٩٧٥/١٢/١١) وكان أيضاً هو آخر حديث ، حيث ظل اسم أمل مدرجاً فى قوائم الشخصيات الممنوع ذكرها داخل الجريدة (رغم عملي بها) بل كثيراً ما قام المشرف العام على الصفحات الأدبية بجريدة الأخبار (عبد الفتاح البارودي) بشطب اسم أمل من داخل خبر ، أو حتى داخل استطلاع لآراء الكتاب والأدباء .. فإذا ذكر أحدهم اسم أمل ، أو اسم كتاب له ، قام المشرف العام بحذف هذه العبارات ، مردداً أن أسماء الشيوعيين لا حق لها فى النشر بالجريدة .. بل راح مرات عديدة يتهم أمل بكسر عمود الشعر ، والإساءة للغة بما يكتبه من شعر حديث !!

كما أن نشر هذا الحوار تطلب نوعاً من التجاوز الخاص من المشرف الأدبي حينئذ (رشدي صالح) حيث قام بكتابة تقديم أعلى الموضوع :

«حتي لا يظن شاعر أن الملحق الأدبي يقف له بالمرصاد فإنه يقدم هذا الحوار وللنقاد والشعراء الآخرين أن يقفوا على نفس المنصة وأن يقولوا آراءهم»

* * *

«وســـادة المتعـــب»

صرنا أصدقاء !

قال لى فى المرة الرابعة التى التقيت فيها معه ، وبدون أدنى مقدمات :

ـ يجب أن تعلمى أنك لن تكونى أكثر من صديقة !

حرك هذا التحذير الاستفزازى انفعالاتى ، فبدت عارية :

ـ أولا أنا لســت صديقتك ، كما أننى لا أسمــح لأحد بتحديد مشــاعرى متى تتزايد أو تتناقص ، إننى وحدى صاحبة القرار فى علاقاتى بأصدقائى !

سقطت حسابات أمـل ـ وهو الذى لا تسقط حساباتــه عادة ـ أمام رد فعلى المفاجئ ، فاضطر إلى التراجع ، أو إلى اظهار بعض من مشاعره ، عندما راح يفكر فى صوت مسموع .

« إننى رجـل بدأت رحلة معـاناتى ممـن سن العاشرة ، وفى الســابعة عشرة اغتربت عن كـل ما يمنح الطمأنينـة حتى الآن ، وأعتقد أن السـهم الـوحيد الذى يمكن أن يصيبنـى فى مقتل سوف يجىء مـن امرأة ، ولذلـك اتسمت علاقــاتى دائمًا بالــرفض ، كنــت استغرق فى الحب ، لكننــى فى صميمى كنـت هاربـًا من التمسك بها ... » .

تحدث يومها كثيراً عن المنزل ، وحياة الاستقرار التى أعيشها ، وعن رغباتى البرجوازية فى الشعور بالقلق ، وتحدث عن حياته التى لم تعرف الاستقرار أبداً ، تحدث عن أشيــاء عديدة بشكل غير مترابـط ، وأنا أشعر بفـرحة غامرة فـرحة ميلاد عاطفة جديدة .

من المؤكـد أن أمل أحبنى ، وأن غضبى لعبـارته يعنى أيضاً أننـى أحمل له نفس المشاعر .

سألنى وهو يمد يده مصافحاً :

ـ هل أراك غداً ؟

ـ بالتأكيد ، لقد أحببتك !

مد أنقل رقبته إلى أعلى ، حتى لا يمكننى رؤية وجهه الذى ارتسمت عليه شبه ابتسامة خجـول (إنها المرة الوحيدة التى رأيتـه فيها مرتبكاً بـالخجل) ومضى دون أن يعلق بكلمة واحدة !!

* * *

عيناك : لحظتنا شــروق
أرشف قهوتى الصباحية من بنهما المحــروق
وأقــرأ الطـــالع .

* * *

كان أمل مغرماً باهدائى كتب الشعر ، أغلى ما يمكنه اهداءه ، وأغلى ما يمكن أن يصلنـى ، أهدانـى طبعة أنيقـة للغـاية بـالأوفسـت ، مجلدة بـالحرير مـن الموشوحات الأندلسية ، مؤكداً أنه هكذا يجب نشر الشعر ، أهدانى أيضاً الأعمال الكاملة لبدر شاكر السياب ، ولسعدى يوسف .

مرة واحـدة ـ قبـل الزواج ـ أهـدانى خاتماً ذهبيـاً رقيقاً على صـورة قلب ، سألته عن سبب الهدية ، ضحك وقال :

ـ بلا أسباب ، فلربما إذا انتظرت الأسباب ، لا أملك تقديم هدية لك ، اننى لا ألتقى (والضرورة) أبدا .

قام بكتابة نسخة خطية من ديوان (العهد الآتى) قبل صدوره ، بالعديد من الأقلام الملـونة ، وبتشكيـل فنى رفيـع من خطـوطه الجميلـة ، وكتب على أولى صفحاته :

إلى صديقتى المشاكسة

والعزيزة علىّ جداً ، رغم أنى لست عزيزاً عليها !

بهرنى خطه الجميل ، مثلما سبق وبهر خطاطاً صديقاً أرسل إليه أمل نماذج خطية من قصائده مكتوبة فى تشكيل جمالى معين ، حتى يقوم الخطاط بنسخ الديوان كاملاً على شاكلتها ، أعاد الخطاط فى اليوم التالى القصائد إلى أمل مع رسالة اعتذار :

العــــزيز أمــل

شلت يدى ، (عوفيت) أعفنى .

أعذرنى معك لن أملك أن أضيف ، وسوف يضيق بى

سأعتئذ النساخ والموهوبون وأنا نفسى ، وأنت يخيب ـ أكثر ـ أملك فى .

على كل شىء كان يكتب أمل ، ويمارس حبه الشديد للتشكيل الخطى خاصة تشكيل أسمه ، على أيدى المقاعد ، فوق المناضد ، على أوراق الجرائد وعلب السجائر ، ولعله كان نوعاً من التوتر الزائد ، ولعله أيضاً كان نوعاً من الهروب المستمر من المحيطين به ، بالدخول إلى دوائر ذاته .

...

كان ديوان العهد الآتى وما زال برأيي هو أنضج أعمال أمل الشعرية فكراً ولغة ووجداناً وبناء ، انه يحدد موقف أمل ورؤيته لهذا العالم ويحدد أكثر مفهوم ومنطلقات الثورة لديه .

إن عملية الهدم للعهد القديم والجديد ، واعادة بناء عهد آت جديد ، شكّل فى هذا الديوان رؤية ثورة كلية ، كما أن قصيدة «سفر التكوين» بالتحديد هى كتاب العهد الآتى ، فهى ليست استحضاراً للرب أو ارتداء أقنعة الآلة القديمة ، ولكنها اكتشاف آلة جديد فى ثوب إنسانى . حيث يطل التحرك الشاسع من العالم الأبوى المقدس إلى عالم الإبن أو الإنسان التاريخى .. كنوع من التحول

المعرفى يعنى بزعزعة السلطة (المجرد ، المطلق ، الالهى) لصالح المشخص العينى (الإنسان ، تجربته ، حريته) .

ومن المؤكد ـ فى تصورى ـ أن هذه القصيدة الطويلة ، تعكس إعجاباً خفياً لدى أمل بأفكار نيتشه .

سألنى يوماً عن أحب قصائد الديوان ، أسمعته من الذاكرة قصيدة (من أوراق أبى نواس) .

صفق أمل : لم تخطئ فى التشكيل .

هتفت متعجبة : القصيدة رائعة ، صفق للشعر الجميل .

يخجل أمل إذا أطريت شعره ، إنها اللحظة الوحيدة التى يتعرى فيها قلب الشاعر لنراه طفلا وديعاً ورقيقاً إلى حد الشفافية .

قال : هل تعرفين القصيدة التى تعجبنى بالديوان ، إنها قصيدة لم يحتف بها أحد كباقى قصائد الديوان وهى (رسوم فى بهو عربي) .

«لقد حاولت كثيراً أن أعرف هذه الكيمياء التى تتحكم فى حسن استقبال القصيدة ، لكننى لم أدرك كنهها ، فكم من قصيدة أعجبت بها ، لكنها لم تلق إهتماماً ، مثل هذه القصيدة ، ومثل قصيدة **(أقوال اليمامة ومراثيها)** بينما هناك قصائد كثيرة لم أكن راضياً عنها تماماً ، فإذا بها تصبح أشهرقصائدى ، إننى دائب البحث عن حلول جديدة لمشاكل القصيدة الحديثة ، سواء من جهة اللغة أو الموسيقى ، أو البناء» .

...

كانت ، كذلك ، أول نسخة من ديوان العهد الآتى فور صدورها عن دار العودة فى بيروت ، ووصولها القاهرة (ديسمبر ١٩٧٥) هى لى أيضاً .

اشتريت نسخة من مكتبة مدبولى ، وأنا فى الطريق إلى لقاء أمل ، فوجئ بالديوان فى يدى ، فأرسل بهدوء جرسون ريش لشراء نسختين ، وأهدانى احداهما بعد أن قام بإصلاح الأخطاء المطبعية :

إلى الآنسة عبله الرويني

كـــان مـــن الممـــكن أن تـــكون صـــديقتي ، لـــكن عـــنادها

حطـــم هـــذا الإحتمـــال

أرجو أن يكون هذا الكتاب عند حسن ظنها .

مع تقديرى لشاعريتها .

أدهشنـى الإهداء ، فـأبداً لم يتحطـم شىء ، لكنـه أراد أن يعلن أن عنـادى وحده حـولنى مـن صديقـة إلى حبيبة مشـاكسة ، تقلقـه دائماً بردود أفعـالها المفاجئة ، ولعله أراد أيضاً أن يمارس هوايته فى صناعة القلق لى ..

كتب لى يوماً رسالة طويلة :

«لو لم أكـن أحبك كثيراً لما تحملت حسـاسيتك لحظة واحـدة ، تقولين دائماً عنى ما أدهش كثيراً عند سماعه ، أحياناً أنـا ماكر ، وأحياناً ذكى ، رغم اننى لا أحتاج إلى المكـر أو الذكـاء فى التعامـل معك ، لأن الحب وسـادة فى غرفـة مقفلة استريح فيها على سجيتى إننـى أحب الاطمئنان الذى يملأ روحى عنـدما أحس بأن الحوار بيننـا ينبسط ويمتـد ويتشعب كـاللبلاب الأخضر على سقيفـة من الهدوء . أكثر شىء أخافه هو تربيتك أو بالأحرى حياتك ففى العادة تبحث كل الفتيات اللواتى لهن مثل ظروفك من الأمـان فى البيت والعمل عن قدرة من القلق والانشغـال ـــ وأنا لا ألـومـك فى هـذا ، بـل وأصنعـه لك متعمـداً فى كثير مـن الأحيان.....»

....

«إننى أحتاج إلى كثير من الحب ، وكثير من الوفاء ، وكثير من التفانى إذا صح هذا التعبير ، ولكنك لا تعطينى أى شىء ، لدرجة أنك إذا أحسست أنى محتاج إلى كلمة حـب رفضت أن تنطقيهـا وإذا طلبت منك طلبـاً صغيراً فـأقـرب شىء إلى لسانك هو كلمة الرفض .. إن قلبـك قفر جداً لا يستطيع أن يكون وسادة لمتعب أو رشفة لظمآن ...

إننى لا أبحث فيك عن الزهو الاجتماعى ، ولا عن المتعة السريعة العابرة ، ولكنى أريد علاقة أكون فيها كما لو كنت جالساً مع نفسى فى غرفة مغلقة» .

. . .

ظللنا فترة طويلة نبحث عن شكل مريح للحب بيننا ، ولم نجده فى أغلب الأحيان ، فما نكاد نلتقى إلا ونتشاجر ، وكأن ما بيننا غضب وعناد ساطع كنا أشبه بالمتنافرين دائماً ، نتكسر فى الطرقات الممدودة أبعاداً مختلفة ، فتجمعنا الاشلاء استمرار معاند ، فى لحظة نحشو العالم فى جيوبنا ، ونلملم كل الأوراق الخضراء وصوت العصافير ، والأقلام الملونة ، ثم بلحظة أخرى نمزق كل الأوراق ، ونذبح صوت العصافير ، ونكسر كل الأقلام الملونة والدفاتر .

اللا قانون كان هو القانون الوحيد الذى يحكم قلبينا ، فعندما نقرر لا نفعل شيئاً ، وعندما تتساوى الأشياء ، نحطم كل شىء ونتعامل بمنطق المفاجأة .

هكذا كنا نحب بأسلوب كتابة القصائد ، تكتبنا الحروف ، دون أن نحاول رشوتها أو التحايل لوجودها .

أغضب منه كثيراً ، ويفاجئنى إنفعالى ـــ أحمق ـ فأترك أمل فى منتصف الطريق ، لكنى سرعان ما أعود للبحث عنه فى أماكنه بالمساء ، حاملة معى كلمات بشكل الانفجار:

* **كلما قرأت أشعارك أحس أن مكانك الطبيعى فى صفوف الانقلابيين ولهذا فانت شاعر جيد وعاشق شرير .**

* **نواظب بشكل جدى على قهوة الغضب الصباحية (كل ما بيننا غضب وعناد ساطع) نشربها صامتين ، يزهر الفنجان من بنهما (حبنا ، والموت المبكر) .**

* **جلس اليوم أمامى فى (المترو) شاب جميل الملامح ، نظر إلى وابتسم ، أحسست أن ابتسامته تغتالك من الخلف فتجهمت مدافعة عنك ، أتمنى**

أن تكون جوارى فى (مترو) الغد لأبتسم لكل الملامح الجميلة ، وأغتالك وحدى .

* فكرت فيما حدث ، فوجدت أن كل شىء يمكن أن يلتقى فى هذا العالم إلا اثنان : أنا وأنت لا لأننا غير متناسبين - كما تقول - بل لأننا مختلفان ، مسافة كبيرة بين عقلية لا تخرج من غرف النوم السرية ، وعقلية أخرى لم تدخلها بعد .. أفكر كيف تكون إذا أغلقت الشقق المفروشة ؟

...

يفرح أمل بمجيئى ويعود كل شىء صافياً من جديد ، وأواصل الكتابة إليه :

* الغفران ليس من طبيعتى

والنسيان أيضاً ليس من طبيعتى
لكنك حين تدخل كالسيف فى دوائر حلمى -
أتحول إلى مساحات للحب والغفران .

* أحبك .. أكثر إتساعاً من رؤى عينيك

أكثر قرباً من مسامات جلدك
عصفور ينطلق من أطراف أصابعى
هارباً من ضيق الحروف الأربعة .

* تسألنى كل الفروع المتسلقة فوق الأيام

بلا جذر : ولماذا هو ؟
- لأنه لا يستطيع أن يكون أنتم ؟

* يسألنى قلبى بعفوية شديدة : من

هو ؟
أرسمك امتداداً

لم يكن أمل مغرماً بالنثر كثيراً ، ولم يكن مغرماً بكتابة الخطابات العاطفية ، لكنه أمام عدم قدرته الدائمة على الإفصاح عن مشاعره بشكل صريح راح يكتب لى :

صباح الخير ..

فى المثلث الشمسى الممتد من الشباك إلى زاوية سريرى أراك متمددة فى الذرات الذهبية والزرقاء والبنفسجية التى لا تستقر على حال ، تماماً كنفسيتك ومع ذلك ابتسم لك وأقول صباح الخير أيتها المجنونة الصغيرة التى تريد أن تلف الدنيا على أصبعها ، والتى تمشى فوق الماء وتريد ألا تبتل قدماها الفضيتان!

المسافة بين أمس واليوم ـ لقاؤنا الممتد ـ طريق ينشق فى قلبى فى كل مرة أضطر إلى أن أتركك أحس أن لقاءنا الأول هو لقاؤنا الأخير والعكس صحيح ، لا أعرف تماماً لماذا هذا الإحساس لكننى أرجح أنه نابع من إحساسى بتقلبك الدائم وبحثك المستمر عن الحزن ، لا أريد أن أفكر كثيراً فى خلافاتى معك فهذا الصباح أجمل ما فيه أنه يقع بين موعدين ، بين ابتسامتين من عينيك ، صحيح أنهما سرعان ما تنطفئان لكننى أسرقهما منك ، وأحتفظ بهما فى قلبى ، وأتركك تغضبين وتغضبين ..

حسناً ! لا يهم ، فلقد عودت نفسى على أن أعاملك طبقاً لإحساسى وليس طبقاً لانفعالاتك ، أحبك ولا أريد أن أفقدك أيتها الفتاة البرية التى تكسو وجهها بمسحة الهدوء المنزلى الأليف ..

...

ظل أمل يبحث دائماً عن تأكيد لحبى له ـ دون أن يمنحنى نفسه هذا التأكيد. ـ كان شعوره الدائم بالوحدة ، وعدم الأمان ، يطالبنى بالمزيد من المشاعر وهو الواثق أن مشاعرى ليست فقط أضعاف مشاعره ، وإنما انتماء كامل له .

كنت أريد من مشاعره الكثير مـن الكلام ، والكثير من الإنفعال ، والكثير من النار والكثير مـن الحرائق ، وكان يمنحنـى مشاعـراً عميقة يـرفض تـأكيدهـا بالألفاظ .

كان يريد من مشاعرى المزيد من الهدوء ، المزيد من السكينة، من أجل لحظة اطمئنان واحدة لم يعرفها طوال حياتـه ، وكنت أمنحه انفعالات مستمرة وتوتراً عاطفياً لا يعطى استقراراً .

ولا أدرى سر هذا التناقض الدائم ، ففى داخلى مهرجان للفرح قائم ومع ذلك يشجينى شعور الحزن ، بينما يكمن فى أعماق أمل حزن لا ينتهى ومع ذلك فهو قادر دائماً على إحداث الفرحة والبهجة .

كان كل منا يبحث عن شىء يفتقده .

وكانت مشاعرنا رغم صـدقها القوى فى صدام مستمر ، ولا أدرى لماذا كنت دائمة الاستفزاز له بتشويه سمعة قلبى ، برسم صورة جافة له ، ولعل ذلك كان فى ظنى نوعاً من منازلته بنفس أسلـوب تعامله معى ، فهو لا يستطيع الإفصاح عن مشـاعره والتعبير عنهـا ، بل كـان هو الـذى يخفيها دائماً ، وكـأنها منطقة ضعفه الوحيدة .

لا يجيد عبارات الغزل والإطراء ، إن أقصـى ما يستطيع التعبير عنه (وجهك رومانتيكي) .

ـ تقصد ساذج !

يغضب بالفعل من سوء ظنى ، ويقول أقصد أنه جميل !

إنه يلقـى بالكلمات جـانباً ، ويطالبـك بالفهم والإحسـاس بعمق مشـاعره الداخلية حتـى وإن لم يفصح عنها ، إنه يطـالبك دائماً بأن يسكن قلبـك عميقاً حتى تستطيع أن ترى جيداً قلبه .

كان قليل الإفصاح عـن مشاعره وأحاسيسه ، بينما كنت شـديدة الإفصاح عنها ، والتعبير بكافة الأشكـال ـ رغم محاولات المكابرة ـ أنـا التى أطلب لقاءه ،

وأنا التى أبحث عنه ، وأنا التى تعلن مشاعرها واضحة فى كل لحظة .

ورغم ذلك ظل إلى سنوات يبحث عن تأكيد دائم ، ويقين وراحة وإطمئنان لاينتهى ، لقد ظل هذا الشعور الداخلى بانعدام ثقته فى العالم يحرك مواقفه دائماً أمام الأشياء والأشخاص ، إن ظهره لابد وأن يكون للحائط دائماً وقد كان يدرك جيداً طبيعة قلبه ، ولهذا لم يفتحه إلا لأشخاص يستحيل عليهم إيلامه ، لقد كان يملك قلباً نبيلاً أشد رهافة من احتمال أى محاولة لإيلامه ، ولهذا لم يفتح قلبه إلا لقليلين للغاية ، ربما خمسة ، أو ثلاثة ، أو واحد ، وربما كنت أنا ، وربما ، أحياناً ، لا يكون أحد .

كتب لى يوماً :

«ـ إننى لا أعتقد أن الشاعر فى قلبى تقاسم الكينونة مع القاتل فى أعماقى ، لقد قتلت عبر سنوات العذاب كل أمل ينمو بداخلى قتلت حتى الرغبات الصغيرة، والضحك الطيب ، لأننى كنت أدرك دائماً أنه غير مسموح لى بأن أعيش طفولتى ، كما أنه من غير المسموح به أن أعيش شبابى .

كنت أريد دائماً أن يكون عقلى هو السيد الوحيد ، لا الحب ولا الجنس ، ولا الأمانى الصغيرة ، لقد ظللت لا أقبل كلمة رقيقة من امرأة لأننى أضطر عندئذ إلى الترقق معها ، وهذا يعنى بلغة إحساسى ، التودد لها ، وهو يمثل الضعف الذى لا يغتفر .

وقد لا تعرفين أننى ظللت إلى عهد قريب أخجل من كونى شاعراً ، لأن الشاعر يقترن فى أذهان الناس بالرقة والنعومة وفجأة ها أنت تطلبين منى دفعة واحدة ، أن أصير رقيقاً وهادئاً وناعماً يعرف كيف ينمق الكلمات ..»

كان أمل قليل الكلام لا يعرف كيف ينمقها ، لكنه ، كان صريح المشاعر .

أيُّها الشعرُ؛

يا أيُّها الفرحُ المختلسْ

... ...

... ...

... ...

... ...

كلُّ ما كنت أكتب؛ ... ...

في هذه الصفحة الورقيه ... ...

... صادرته العسس !! ... ...

نموذج خطى لأمل دنقل ـ من أوراق أبى نواس

(مزج أول) :

المجد للشيطان .. معبود الرياح .
من قال « لا » ..
في وجه من قالوا « نعم » .
من علم الانسان تمزيق العدم .
من قال « لا » .. فلم يمت

من كلمات سبارتاكوس الاخيرة

من كلمات سبارتاكوس الأخيرة

«مبارزات الديكة»

ظل الاطمئنان الكامل هو جوهر ما يبحث عنه أمل فى علاقاته ، ولهذا اتسمت صداقاته دائماً بالمسافة التى تمنحه فى لحظات الثقة امكانية الرؤية ، وتمنعه من ذلك الالتصاق النفسى بأحد .. فهو لا يبحث عن سند خارج ذاته ، بعد أن أكسبته مرارة الأيام قدراً كبيراً من انعدام الثقة .. وأكسبته أيضاً درساً حول السفن الغارقة التى لا بد وأن يفر منها الآخرون .

إن الضعيف لا أصدقاء له ، بينما القوى يتزاحم من حوله الأصدقاء .. هكذا كان يردد دائماً ..

لا يوجد لديه أصدقاء فى المطلق ، فليس كل من يبدى له صداقته هو صديقه، كما أن الصداقة لم تأخذ دائماً معناً عاطفياً، فأحياناً يحب شخصاً ولا يكون صديقه ، وأحياناً تجتمع المساوئ فى شخص ، ويلتقى معه ويرتبط بصداقته .

ان حسابات القلب لا تعنى دائماً صداقة وإنما حسابات العقل والسلوك وإحترام التفكير هى محور ما يبحث عنه لدى الآخرين .

ومن هنا أخذت شكل الصداقة لديه أشكالاً مختلفة .. معظمها صداقات عقلية ، أو نوع من الائتلاف العقلى يحكمه حوار مستمر ، ومناقشات ومجادلات طويلة .. وكانت تلك النوعية من الصداقة تحتوى أفراداً مختلفين من يسار ، ويمين ووسط ، وكتاب وفنانين ، ونقاد ، فكل ما يحكمها هو الحوار العقلى .

عند مجيئه الأول للقاهرة كانت صداقته جزءاً من حركته الشعرية ومشوار إبداعه ، فقد خلقت ارتباطاً قوياً بمجموعة من الكتاب والفنانين سموا فيما بعد (جيل الستينيات) كانوا يتحركون كمجموعة ، يدخلون الندوات والأمسيات

الأدبية كمجموعة حتى خلقت هذه الرفقة بينهم نوعاً من الارتباط والحماسة وإثبات الوجود .. فلم تكن لديهم وثنية ولا رغبة فى تجسيد آلهة أو رواد أو أساتذة وإنما الهدف كان دائماً هو البحث عن الذات الفنية والأسلوب الجديد .. وكان من بين هؤلاء : ـ

(سيد خميس ، محمد جاد ، عز الدين نجيب ، الدسوقى فهمى ، عبدالرحمن الأبنودى) .

وبعض الصداقات كانت تدمر شكل الحوار تماماً ، وتحيل العلاقة إلى مناجاة ، ومنولوج داخلى ، واحساس وجدانى عميق .. وبعضها يأخذ شكل الهدوء (خاصة حين يسلم الصديق بداية بمشاعر الحب الكامل لأمل) .. وبعضها يأخذ شكل النار المشتعلة دائماً .

ليست هناك طبيعة واحدة للصديق ، بل ليس هناك تحديد دقيق له ، أو لعلاقة أمل به .. ربما تفصله الأماكن والسنوات عن صديق ويظل أغلى الأصدقاء ، وربما يختلف مع صديق على المستوى الفكرى ويظل محافظاً على علاقة الود معه (يرفض تماماً النشر فى مجلة الثقافة لكنه يصادق رئيس تحريرها عبد العزيز الدسوقى) .

احتوت صداقاته كثيراً من الأشكال المركبة ، وكثيراً من أقنعة الحدة ، والمنازلات الملتهبة ، والمشاحنات الكلامية ، والمداعبات الشديدة .. كأنها السكاكين ..

مبارزات الديكة
كانت هى التسلية الوحيدة
فى جلستى الوحيدة
فوق غصون الشجر المشتبكة

ظلت هذه العلاقات شديدة التركيب حيث تبدو المداعبة حادة بينما يبحث

أمل خـلالها عن نوع مـن الاطمئنان الكـامل لا يجده دائماً ، أو نوع مـن الفهم والحب لـه لم يوفـره الآخـرون ، وربما لم توفـره الأيـام له شخصيـاً .. ولهذا اتسمت عـلاقاته دائماً بمـزاج ساخر ، ومـزاج حاد ، لا يحتوى شراً ، بقـدر ما يحتوى مرارة الأيام الطويلة .

كان ذلك يحدث مع أقـرب الأصدقاء وأحبهم إلى قلبه .. وربما كان مـا يزيد الأمر تركيباً هو حرص أمل الشديد على عدم إيضاح علاقاته إذا غاب الفهم فيها، فهـو شـخص لا يعـرف طرح الأسبـاب . ولا يعـرف أشكال العتـاب والثرثـرة العاطفيـة إنه فقـط يحب ويكره فى قلبه الصـامت دون إفصـاح ، ودون تحديد ظاهر .

كان القاص يحيى الطاهر عبد الله واحـداً من أصحاب تلك العلاقة المركبة ، بل واحداً من أقـرب الأصدقاء إلى قلب أمل ووجدانه ، رغم مـا احتوته علاقتهما من اشتباك متواصل يتخللها فترات هدنة قصيرة للغاية ..

كان يوحـدهما هذا الإخلاص الشديـد لإبداعهما ، وتلك القدرة الثـاقبة على التقاط أدق الأشياء ، وتلك القدرة على الرؤية الواعية الكاشفة ، مع الحرص على أن يكون كل منهما نفسه .

سكن معـه شهراً وحيداً بفندق (الخليـج) بشارع طلعت حـرب أسماه أمل شـهر العـذاب ، فلم يكن يحيـى يسمح لأمل بـالهدوء لحظة واحدة .. إنـه يعلن وجوده بصورة صارخة طوال اليـوم ، ويحول دون الصمت الذى يعشقه أمل.. وفر كلاهما سريعاً من هذا السكن .

ورغم هذا الاشتباك المستمر ، فلـم يكن أحد يجرؤ على الاطلاق بالخوض فى سيرة يحيى أمـام أمل ، وإلا انفجر غاضبـاً وعنيفاً .. كما كان يحيى فى ثـوراته الشديـدة يلعن أمـل ، فإذا لعنه الآخـرون وهم معه ، يغضـب منهم معلنـاً أنه الوحيد على هذه الأرض صاحب الحق فى سب أمل دنقل .

أضحك معترضـة على أن يسير يحيى (بجـوارنا) حـاملاً ابنتـه أسماء على

كتفيه ، ينفعل يحيى علىّ ، ويطالبنى ألا أسير (جوارهما) بهذه الأفكار ..

إنه يوحد أمل معه فى ثقة شديدة ، تصل إلى حد تهديدى ، ليس بإبعادى عن طريقه ، بل عن طريق أمل أيضاً ..

يبتسم أمل من هذين الطفلين العنيدين اللذين يتنافسان على قلبه .

زار يحيي أمل فى مستشفى العجوزة ، عند اجراء الجراحة الأولى (١٩٧٩) ، وسألنى فى عصبية :

ـ لماذا ينبغى أن يموت أمل ، بينما يظل (أولاد الكلاب) أحياء .. وبكى . ولم يأت مرة ثانية .

مات يحيى فى حادث سيارة فى العام التالى ، ورفض أمل الاشتراك فى كل مراسم غيابه ، لم يسأل عن الأسباب ، لم يتكلم فى تفصيلات الموت ، لم يثرثر (بشكل عاطفي) حول يحيى كما كنا نفعل جميعاً ..

(إن يحيي خاص بى وحدي) قالها وبكى ..

كانت هى المرة الأولى التى أرى فيها دموع أمل .

...

إن صورة (الأخ الأكبر) ، وأحياناً صورة (الأب) ، كانت هى صورة أمل فى عيون اصدقائه المقربين ، فهو يستمع ، بل يعيش جيداً آلام أصدقائه إلى حد تدليل مشاعرهم .

أدرك جابر عصفور قرار فصله من الجامعة حين رأى أمل يدلله فى رقة شديدة .

هكذا كان يراه أيضاً د. يوسف أدريس .

قرأ أمل رسالة يوسف أدريس (أتظلم منك إليك) الموجهة إلى رئيس الجمهورية فى جريدة الأحرار إثر الهجوم الحاد الذى تم عليه ، فغضب من نبرة الشكوى فى أسلوب الرسالة ، وراح يعدّل بقلم أحمر فى أسلوب الرسالة .. ثم مزق ما كتب معلناً أن يوسف أدريس يجب أن يعلم أنه أقوى من رئيس

الجمهوريــة ، ولا بد أن يكتب بهذا الإحساس ثــم طلب منى الاتصال بيـوسف أدريس ، وإبلاغه بمساندتنا النفسية .

كان جـوهر علاقته بيـوسف أدريس هـو الصعلكة ، ليس بالمعنــى الساذج للكلمة ، ولكن بمعنى الرفض والخروج على الشرعية .

أيضاً كانت علاقته بالشاعر نجيب سرور واحدة من الصداقات غير الهادئة، بل كانت صــداقة مدمرة فى شكلها الخارجى ، مليئة بـالشجار ، .. والمشاحنات الدائمة ، مردها ، أغلب الظن ، إلى نوع من الغيرة الشعرية يحملها نجيب لأمل .

يرفض أمل ميلـودرامات نجيب ، ويراها نوعاً مــن التمثيل الفاشل فيمارس استفزازه الحاد كلما رآه ..

(أزيك يا نوجــه) ..

يغضب نجيب لهذا التدليل الجارح ، ويظل مهمومــاً طوال الوقت مهدداً برد الإهانة .. يتشــاجران بالأيدى فى اليـوم التالى .. ثم يشربان معــاً فى مساء نفس اليوم فى بار (كازابلانكا) !!

* * *

يستفز أمل الكاتبــة صافيناز كاظم بشكل دائم .. ويفســد لها ـ كما تقول ـ كل علاقــات أو مشروعات زواجها .. فتحتد ملقيــة بكوب الشاى الساخــن فوق ملابسه ، يبتســم أمل فى هدوء ، ويطالبها بمنــاقشته بعد ذلك مــع كوب الشاى البارد . يمتد الخصام إلى سنوات وسنوات ، لكنها تظل ابنة جيله ، وتظل واحدة من أقرب الأصدقاء إليه .

* * *

الصوت عال ، والمبارزات حادة وساخنة مع كثير من الأصدقاء الذين سكنوا الوجـدان لكن فى ذات الوقــت كان هناك العديــد من الصداقــات الهادئة التى لم تحتو شجاراً ، أو مشــاحنة ، أو خلافاً واحــداً على طول زمانها .. ولعلها كــانت تحتوى ، أكثر من الارتباط الوجدانى ، نوعاً من الائتلاف العقلي..

هكذا كانت صداقته بجابر عصفور فهى على طول زمانها لم يتخللها خلاف واحد أو حتى شجار بسيط .

يناقش د. جابر عصفور ديوان أمل العهد الآتى فى دار الأدباء بصورة اختلف أمل معها كثيراً حتى صار النقاش حاداً فى تلك الليلة .. وتنتهى الأمسية ويلتف الكثيرون حول أمل ونمضى خارجين من دار الأدباء .. فيفقدنى أمل وسط الزحام ، وينسى الكثيرين ، ويمضى مع جابر عصفور ليسهرا حتى الصباح فى مقهى على بابا بميدان التحرير .

* * *

عند تكوين لجان المجالس الثقافية اختار د. عز الدين اسماعيل أمل عضواً فى لجنة الشعر .. فرح أمل بالاختيار ـ رغم ما ردده عن محاولات استقطابه ـ وكان حريصاً على مداومة حضور اجتماعات اللجنة ، إلا أنه سرعان ما مل اللجنة ـ الوظيفة ، وبدأ يفقد الاهتمام بها .

شىء واحد إيجابى حققته له عضوية لجنة الشعر فى رأيه ، هو إتاحة هذه العضوية الفرصة لصداقته مع الشاعر فاروق شوشة ، أو على الأقل معرفته عن قرب معرفة جعلت أمل يعيد النظر فى ذلك الجمود السابق فى علاقتهما كشاعرين .

ـ إن فاروق رجل شديد الذكاء .. أشعر بتحقق الفهم بيننا دون كلام . إنه يقول حين لا يقول» .

وربما لم تتحقق الصداقة بشكلها الظاهرى بينهما . لكن حوار الصمت كان صداقتهما ، هكذا تؤكد مرثية فاروق شوشة (لأمل) سر الصمت الذى عرفه كلاهما :

نبتعد فيطوينا دوران اليوم وننسى
حتى يرجعنا التطواف إليك
ونقعى حولك

تتأملنا وتصنفنا
تقرأ فينا جيشان الدمع المخبوء
تطالع فينا زلزلة السمت المهزوم
تمتد يداك لتأخذ أنت بأيدينا
وتكفكفنا
نتهرب من عينيك .. ولكـــن
صمتك يفضـــــحنا .

* * *

وربما أخذت الصداقة معنى النبل الذى يسكـن القلب عميقاً .. ففى الذكرى الثانية لرحيل الكاتب يوسف السباعى دعى أمل للمشاركة فى الاحتفال .

جاء يوم الذكرى ولم يكتب أمل بعد قصيدة .

أسألـه هل ستلقى قصيـدة قديمة ، أم ستكتـب قصيدة جديـدة خصيصاً للمناسبة . قـال : بل قصيدة جديدة مهـداة إلى يوسف السباعـى ، لكن المشكلة أنها لا تريـد أن تخرج فى شعر حديـث وكلما حاولـت التفكير فيها تأخـذ شكل القصيدة العمودية ، وبالفعل كانت قصيدة عمودية !

وقامـت الدنيـا ولم تقعد على هـذه القصيدة ، او بمعنـى أصح قـام اليسار المصرى ثـائراً على أمل .. كيـف له أن يكتـب قصيدة فى يـوسف السبـاعى بـل ويهاجم فيها الفلسطينيين الذين قاموا باغتياله .

وكعادة أمل فى عدم الالتفات لأحد .. لم يسقـط فى دوائر الدفاع ، بل إن الذين أقاموا الدنيا ولم يقعدوها ، لم يمتلك أحد منهم مواجهة أمل علناً .

جلس فى أتيليـه القاهرة ذات مســاء وأمامه مجمـوعة من الكتــاب والشعراء والفنانين منهـم اليسارى والشيـوعى .. وأخـرج القصيدة مـن جيبه ، ثـم راح يلقيها أمامهم بصوت عال .

لم يقاطعه أحد .. بل لم يسأله أحد بعد قراءتها : لماذا كتبت القصيدة ؟

كان أمل مقتنعاً بالقصيدة .. إنها صورة حب لصديق وقف بجانبه كثيراً فى فترات الشدة ـ التى اختفى فيها الكثيرون

لكنه ـ منذ اليوم الأول ـ رفض نهائياً نشر القصيدة .

لقد كتب القصيدة إلى (الرجل الخاص) بينما رفض نشرها (للرجل العام) .

أصدقاء عديدين من كل قطر عربى .. يأتون إلى القاهرة فقط للبحث عن أمل دنقل .. اقتحم ريش بشكل مسرحى شاب تونسى ، ووقف بطريقة استفزازية يعلن أمام الجميع : من منكم أمل دنقل ؟

لقد جئت من لندن خصيصاً لمشاهدته :

عامله أمل باستعلاء شديد رداً على سلوكه الاستعراضى الحاد .. فقلنا جميعاً إنها البداية / القطيعة .

لكنهما فى اليوم الثانى صارا من أعز الأصدقاء !

...

كانت صداقته قوية بالشاعر الفلسطينى أحمد دحبور .. وعندما سافر أمل (المرة الوحيدة) إلى بيروت (١٩٨١) لحضور مهرجان الشقيف الشعرى .. صرخ أحمد دحبور عندما رآه قادماً : لا أصدق عينى .. إن قلبى يكاد أن يتوقف!!

...

د/ سهيل إدريس صاحب (الآداب) كان واحداً من أصحاب العلاقات المؤثرة فى عمر أمل ، فقد حمل أمانة صوته الشعرى إلى كل من لا يعرفه من الكتاب والقراء العرب فى بداية صعوده الشعرى .. وتحمل أيضاً فى جرأة نشر العديد من قصائد أمل .. وعندما سأله أحد الشعراء عن نشره لقصيدة أمل (الكعكة الحجرية) قال :

إذا كان الشاعر جريئاً إلى حد كتابة القصيدة فهل يكون كثيراً أن أجرؤ على

نشرها .

أصدر ديوان أمل الأول (البكاء بين يدى زرقاء اليمامة) دون أن يلتقى بأمل ولو مـرة واحدة وعندمـا التقيا فى معرض القاهـرة الأول للكتاب قال لـه سهيل ادريس :

لقد نفذت نسخ ديوانك من المعرض .. وأضاف مازحاً : لكن لاتظن انك شاعر جيد ضحك أمل وهو يقول لنفسه (انه يحاول ألا يبدو رقيقاً) .

قال له سهيل : أكتب لنا نقد القصائد .

ـ لا .

رد على الاتهامات ضدك

ـ لا .. فلا كتابة إلا كتابة الشعر .

هكذا حـدد أمل طريقـه منذ البدايـة لكنه تعلم مـن سهيل ادريس (الـرجل البشوش الوجه الخشن المعاملة) ـ على حد وصف أمل ـ موضوعية الحكم وكبح العاطفة !

« صفوف المجابهين »

كنا حريصين دائماً على حضور الأمسيات الشعرية والأدبية التى تقام فى دار الأدباء أو فى أتيليه القاهرة .

وكان معظم الشعراء والكتاب يتحاشون أمل والحوار معه ، بل كان الكثيرون منهم يتحاشون حتى المرور أمام مقهى ريش خوفاً من رؤيته .. والغريب أن كثيرين منهم وكانوا من أصدقائى أصبحوا أيضاً يتحاشوننى .

كان الجميع يخشونه مبررين احساسهم بنوع من الرفض لسلوك أمل الحاد معهم ، ومنطقه الاستفزازى الباحث دائماً عن مناطق ضعفهم .

قالوا : إنه على الصعيد الاجتماعى فاشل حتى النخاع ، إنه نمام وكاذب ، وقالوا : إن ملامحه لا تترك فى النفس ارتياحاً .. وقالوا : إنه أكثر دمامة من الجاحظ وأنه عدوانى سليط اللسان .

وربما كان أمل كل ذلك معهم ، لكن لم يسأل أحد منهم أى صعيد اجتماعى هذا الذى فشل فيه أمل ؟ ومع من بالتحديد كان يمارس عدوانيته وحدته ؟ ولماذا ؟ والغريب أيضاً أن كثيراً من الأصدقاء كانوا يرددون ذلك فرحين بمجابهة أمل ومنازلته كنوع من الفخر النفسى بداخلهم .

إن القاص ـ محمد مستجاب ـ وهو من أصدقاء أمل ، كان يردد سعيداً أنه يتواطأ مع الزمن ضد هذا الشامخ القوى أمل .

وكان أمل حريصاً على أن يكون أول الناقلين لى ما يردده الآخرون عنه حتى لا يضربه أحد من الخلف عندى ، كان حريصاً على تقديم الجانب (السلبي) من صورته تاركاً لى البحث عن جوانبه الايجابية .

وكنت رغـم ذلك ، ورغم مـا يقال أراه أكثـر الحاضرين حضوراً ، بـل وأكثر الحاضرين جمالاً .

قالت لى ابنة أحد الأصدقاء : انك أجمل منه كثيراً .

ضحك أمـل من استنكارهـا ، بينما أدهشتنى العبارة ، فقـد كنت أراه دائماً أكثر جمالاً منى ، بل كان هو دائماً فى ظنى النموذج الجمالى كما أتصوره .

أحياناً أثور مدافعة عنه فيغضب الأصدقاء :

ـ ألا يكفينـا أمل حتى تـأتى أنت أيضاً ، إنـه ليس بحاجـة إلى مدافعين على الإطلاق .

ورغم هذا كان أمل يفرح كثيراً بدفاعى عنه أمام الأصوات التى تجابهه مهما كان شكل دفاعى ، ومهما كان شكل الهجـوم عليه ولو من باب المزاح .. بل كان يغضب فى داخله إذا توحدت ـ ضحكاً ـ مع الآخرين ضده ، ويطالبنى ألا أنضم مطلقاً إلى صفـوف المجابهين ، فمعـى لا يقبل هـزاراً ضده ، لأنـه يمس القلـب المرهف الذى ربما عرف للمرة الأولى الاطمئنان فى قلب آخر .

ضحكت معـه يومـاً بعد مشـاهدة أحـد الأفلام : **انها الجريمـة الكاملـة يمكننى الآن تدبير مؤامرة لقتلك دون خطأ واحد .**

لم يضحك .. وظل يذكرنى بذلـك سنوات .. بل إنه فى إحدى ثورات الغضب راح يحكى لصديق عن مؤامرتى لقتله !!

...

كتب الشاعـر (بدر توفيق) بعـد وفاة أمل بأسبـوع واحد فى إحدى الجرائد السعودية :

«إن أمل استطاع أن ينصب من نفسه عمدة على القاهرة ، يعرف كل صغيرة وكبيرة مـن أصـول أهلهـا .. زواجهـم وطـلاقهـم .. مقـاضيـاتهم وديـونهم ومكاسبهـم، وحلهم وترحـالهم ، وضعفهم وقـوتهم ، وأحلامهم وإحبـاطاتهم وذلك مـن خلال بـث عيونه الاستخبـارية ليكشـف نقاط الضعـف فى حصون

الناس ، ثـم يشن هـجومـه فتسقط القـلاع المنيعة .. واشتط بذلـك حتى أصبح معروفاً بيننا جميعاً بأنه عدوانى جارح ، سليط اللسان ، فانفض عنه الأصدقاء الطيبون إشفاقاً على أنفسهم من مغبة صحبته».

ومن المؤكـد أنهم ضعفاء للغايـة ، ولهذا كانت عـلاقاتهم أو عدم عـلاقاتهم بأمل يحكمها الخوف بالأسـاس .. إنه الخوف الذى يحكم دائماً نفسية خاضعة تجاه رجل لا يخضعه شىء على الإطلاق .

إنه الخوف من النظر فى عينى رجل يفضح بصدقه الواضح ، وحقيقته عالم الزيف الذى يعيشونه ، ويتمسكون به ، بحثاً عن احترامات هشة .

كانوا يلعبون دور الشاعر دون أن يمتلكوا فى الحقيقة جوهر الشعر وروحه، ولعل أمل فى تصورى ـ كان الشاعر الوحيد الذى احترم الشعر وامتلك روحه.

كان قادراً على إنزال صـوت شعرى من فوق المنصة لأنه يقـدم شعراً رديئاً فيصفق من مقعده معترضاً على جرح الشعر .. ولقد اعتبر الكثيرون ذلك قسوة غير إنسـانية مـن أمل .. وكنـت اعتبر ذلك قمـة الرقـى الإنسانـى حين يمارس صـدقـه، ويحترم أغلى قيمـة .. فـالشعر لـدى أمـل لم يكـن يحتمـل انصـاف الموهوبين، ولا يسكن منطقة الوسط .

وقد تـرجم الكثيرون شعورهـم وانكساراتهم النفسيـة أمام أمل ، الشـاعر الأكثر تميزاً ، والإنسـان الأكثر صدقاً ووضوحاً ، فراحوا يصبون لعناتهم خفية عليه فى اشاعات عديدة ، واتهامات لا تنتهى .. وفى كل مرة يحاولون إلقاء الطوب بقسوة عليه كانت ترتد حجارتهم دائماً إليهم ، دون أن يقع أمل فى دوائر الدفاع بل ودون أن يلتفت حتى إلى الاستماع إلى تلك الأقاويل .

راح الكثيرون يرددون أن أمـل هو الشاعر الـوحيد الذى لم يعايـش تجربة السجن ، وراح آخرون أكثر كراهية للشاعر يكشفون نفوسهم باتهامه بالعمالة للمباحث فى سنـوات الستينيات حيث كثر اتهام المثقفين لبعضهـم البعض ، فى تلك السنوات بالعمالة والشذوذ .

ودائماً أمل كان يسير ولا يلتفت لأحد كعادته .. كان رده الوحيد هو كلمته وقصيدته ، فقد كان الهام فى حياته هو الكتابة ، وليس البحث عن بطولات زائفة هزيلة ، مؤمناً أن شرفه الحقيقى هو الشعر ، وطريقه الوحيد للنضال يمر من خلال القصيدة ، ولا شيء سواها .

...

ومن منطلق آخر ، حمل جيل الشعراء الشبان بمجموعاتهم الشعرية المختلفة (اضاءة - أصوات) تراث الهجوم على أمل دنقل .. وهو هجوم أن بدا هجوماً مختلفاً شكلاً ومنطقاً ، فمع حسن الظن فيه يمكن تسميته بحوار فكرى حاد ، ولعله أيضاً لم يكن حواراً قدر ما كان خلافاً فكرياً حرص الشعراء الشبان بعد ذلك على تسميته بالتنوع فى الرؤية بين شاعر كبير وشعراء شباب .

كتب الشاعر حلمى سالم فى الكراسة الثقافية مقالة بعنوان (ادونيسيون ودنقليون) وكانت بها محاولة لمناقشة أفكار أمل فى الفن بنبرة شديدة الحدة .. وهاجم أمل باعتباره شاعر عصر محدد ، يقف فيه موقفاً محدداً ناصعاً ، ولعل الخلاف بالمقال كان حول درجة هذا النصوع والوضوح الذى رآه يغمط حق الفن أحياناً . كان جوهر الخلاف ينصب لديهم فى كون أمل يرى أن الشعر يأخذ ماهيته الأساسية من صلته بالجمهور ، ولأن له دوراً اجتماعياً وسياسياً ينبغى أن يكون ملموساً وملحوظاً لا أن يكون ملغزاً أو متعالياً على الجمهور .. وكان موقف أمل السياسى ورؤاه الفكرية تطغى على موقفه الجمالى — فى تصورهم - فاتهموه بالمباشرة !

كما استأنف بعض أفراد هذا الجيل هجماته بشكل حاد أيضاً مثلما عبرت عن ذلك مجموعة أصوات فى مقدمة ديوان (لمحمد سليمان) والتى راحت على عكس مقال مجموعة (اضاءة) تردد أن أمل دنقل شاعر كل العصور !

رآه البعض منهم شاعر عصر محدد ، ورآه الآخرون شاعراً لكل العصور ،

بينما كان أمل شديد السخط عليهم لانشغالهم بتلك التصنيفات والتنظيرات الضيقة أكثر من انشغالهم بالشعر ذاته .. ولهذا كان شديد الحدة فى التعامل مع بعضهم ، لا لأنهم شعراء ، بل لأنهم يجيئون إليه حاملين أفكاراً مسبقة ، وإدانات طويلة ، وهو الذى لا يسمح لأحد أياً كان، أن يحاصره ويضعه فى منطقة الدفاع .

وكان شديد السخط عليهم أيضاً ، لأنهم يرتدون عباءة أدونيس المضللة ، حيث يستخدمون الحداثة الفنية هروباً من الحداثة الفكرية ، والتى لا تفعل أكثر من تحديث العين العربية ، تاركة تحديث الفكر والوجدان العربى .

كان أمل حاداً فى مواجهة هذا المناخ النفسى لشعراء السبعينيات والذى انغلق على ذاته فى حركات غير قادرة على إقامة حبل سرى للتواصل مع المجتمع ومع المناخ الذى يعيشون فيه.

وقد كان أمل شديد النفور من صورة الأستاذ والمعلم المربت على أكتاف الشباب ، وهو الأمر الذى جعله دائماً حميم الملاحظة حاداً معهم . إلى درجة قد تبدو لدى البعض قاسية ، لكنه كان يفعل ذلك انطلاقاً من مسئوليته ، وفهمه لقيمة الشعر .

كان ذلك موقف أمل من أصحاب التنظيرات الجمالية الضيقة ، لكنه كان فى نفس الوقت إذا قرأ قصيدة لأحدهم وأعجبته فانه يحفظها ، ويردد أبياتها ، ويحتفظ بها بين أوراقه .

كتب الشاعر حسن طلب قصيدة بعنوان (زبرجدة إلى أمل دنقل) فى مجلة الدوحة ، وهى قصيدة فنية جيدة المستوى ، وإن كنت أشرت إلى أمل يوماً بأن حسن طلب أخطأ فى عنوان القصيدة والتى كان لابد لها أن تكون (زبرجدة إلى حسن طلب) لما تحتويه من نرجسية عالية .

أعجب أمل بالقصيدة بناء ولغة ورؤية ، بل فرح عندما قمت بتعليقها أمامه على جدران الغرفة بمعهد السرطان .. إلى درجة الإشارة لزائريه بقراءة القصيدة:

قلت : فناشدتك الله ما أعلمتنى
فيم أمتزت على أقرانك
وبم برزت أترابك ؟
قال : بحاجة مباحـــه
وديباجه مبيحه
قلت : فيا واحد الندى
رق لواحد القريحه

راجع الشعراء الشبان أنفسهم بعد ذلك فى عـلاقتهم بشعر أمل خلال ثلاث كتابـات (افتتاحيـة العدد العاشر مـن اضاءة قبيل وفـاة أمل بشهـور .. مقال للشاعر حسن طلـب بالدوحة إلى جانب القصيدة .. مقال للشـاعر حلمى سالم بالثقافة الجديدة بعنوان الحداد يليق بالشعراء) .

قـاموا بـإعادة النظـر فى رؤيتهم متخلين عـن نبرة الهجوم الحاد ، بـاحثين بتوسع فى الرؤية عن مرتكزات الآداء الفنى فى شعر أمل .

ولعل إعـادة النظر هذه كـانت اعادة نظر شـاملة فى رؤاهم الشعـرية ذاتها وكتاباتهم أيضـاً .

عندما قرأ أمل افتتاحية اضاءة والتى حمل غـلافها صورته وتم فيها تعديل وجهة نظـر جيل الشعراء الشبـاب فى موقفهـم الشعرى منه .. لم يعلـق بشىء كعادته .

سألته :

ـ أمل ، فى تصورك لماذا يتراجع شعراء السبعينيات فى هجومهم ضدك ؟

ببساطة لأنـه لم يكن موقفاً مبدئيـاً ينطلق من رؤية حقيقية شـاملة وقراءة جديدة للشعر قدر ما كان فى كثير من الأحيان نوعاً من السلوك الاستفزازى .

ولعل ذلك كـان سبباً فى عدم الالتفات الـذى يمارسه أمل دائماً إلى الهجمات التى تمت عليه انسانـاً وشاعراً ، بل إنه أيضـاً لم يمارس الالتفـات إلى من يكتب عنه حتى بشكل موضوعى .

أعجبته مقـال بعنوان «فى العزف على أوتـار الغضب» لـرضا الطويـل قال :
المقال جيد على الرغم من كونى لم أسمع بصاحبه .. قال له صديق :
يمكننى أن أعرفك به إن ذلك يسعده .
أجاب أمل : ولكن لا يسعدنى !
. . .
إن كبرياءه الشعرى حاد للغاية ، حتى إن الصديق إبراهيم منصور كان يراه مريضاً دائما بالكبرياء .
جاءت إليه صديقه متهللة وكأنها تحمل بشرى :
ـ معـى ، فى الغد ، مـوعد مع د/ زكـى نجيب محمود ، وقـد طلب مجمـوعة أعمالك .
غضب أمل من تهافت الصديقة ، واعتبر أن ذلك الفرح الذى بها يمس كرامته كشاعر ، حين يضعه فى مكانة أقل من مكانة الفيلسوف .
وقال : لست أنا الذى يرسل كتبه إلى أحد .

« أول الفقـــراء »

كان مقهى ريش هو مكان اللقاء دائماً ..

أقنعنى أمل بـالتخلى عن منطقى البرجوازى ، وتلـك الوثنية التى أمـارسها تجاه الأماكن ، فلا يوجد مكان نحبه ، وآخر نكرهه ، هناك فقط شخص يسعدنا الجلوس معه أو لا يسعـدنا ، وكانت كلماتـه منطقية وعادلة ، فبـدا ريش معه أجمل وأرق الأماكن التى تصلح للقاء عاشقين .

ـ أدركت فيما بعـد أيضاً أن ريش كان ضرورة لا بد منها ، حيـث كان يمكن لأمل أن يؤجل دفع الحساب لحين تتوافر معه نقود .

أننى أول الفقـــراء

الذين يعيشون مغتربـــين

يموتون محتسبين لدى العـــزاء

قـــلت : فلتكـن الأرض لى ولهـــم

وأنا بينهـــم

فأنا أتقدس فى صرخة الجـــوع

فوق الفراش الخشـــن

لم يكن الفقـر لدى محدد الملامـح ، فلم أدرك فى ذلك الـوقت أن هنـاك فقراً يصل بشاعر إلى حد الاستدانة ، أو أن هناك رجلا لا يستطيع امتلاك ثمن كوب من الشاى ، أو فنجان من القهوة ..

كان العالم البرجـوازى الذى قدمت منـه يحكم عيونى ، لكنـه أبداً لم يسكن قلبى ، فقد كنـت منذ البداية أمتلك قلبـاً مستعداً ، لأن يبيع العالم كلـه من أجل

هذا الشاعـر الذى يملك بنطوناً واحداً أســود ممزقاً ، كأن هذا الثقب النــاتج من احتراق سيجارة يطـل من فـوق الركبـة ، وكان أمـل يحاول مداراتــه دائماً عن عيونى البرجـوازية بينما كنت أبحث دائماً عنــه . وأنا أكاد أعتذر عـن ملابسى الأنيقة .

قال أحد جلساء ريش ساخراً عندما رآنى للمرة الأولى موجهاً حديثه إلى أمل :

ـ **إنها ليست منا .**

يومها بكيـت دون أن أفهم أو أسأل ماذا تعنــى (منا) هذه .. وكيف يتـوحد الرجل مع أمل دونى .

قلت للرجل الذى لا أعرفه : **أنا منكم .**

فى هذا اليـوم قرر أمـل ألا يحادث هذا الشخـص لأنه أغضبنــى ، وقبلنى فى رأسى مؤكداً علنــاً .. لست مطالبة بالدفاع أمــام أحد على الإطلاق .. أنك تنتمين إلى قلبى .

وكان ذلك وحده كافياً .

...

كانت المسافة كبيرة بين عالمى وعالم أمـل فى صورتها الظاهرة ، كنت أنتمى إلى أسرة محافظة ثرية ،

كنت أنتمى إلى منزل هادئ ، كما أن طفولتى كانت قادمة من أيدى الراهبات الفرنسيات .

لكن شيئاً ما كان مختلفاً منذ البداية .

ففى بلـدة والدى كنت أعرف الجلـوس مع الفلاحين ، أجمع معهـم أشجار القطن دون أن أشعـر فى هذه اللحظات أننــى أنتمى إلى أشجــار القطن والأرض التى نملكها قـدر ما كنت أنتمى إلى البشر المتعبين فيهــا ، كان سلوكى فطـرياً ، فهمت معناه جيداً وأنا أقرأ أبيات صلاح جاهين :

القمــح مــش زى الـــــدهـــب

القمـــــح زى الفــــــــلاحين

ولم يبق من المدرسة الفرنسية سوى **(غرفة الأحلام)**

تسدل الراهبـة ستائر الفصل الدراسى ، فتظلـم الغرفة ، وتطالبنـا بوضع رءوسنا فوق الأدراج ، لنحاول النوم مع الأحلام السعيدة .

لم يبق فى ذاكـرتى من هـذه الطفولة ســوى (الحلم) ، والذى ظـل مشدوداً كالنداء إلى المستقبل القادم .

كنت أمتلك الكثير من الأشياء ، والكثير من التدليل للأبنة الوحيدة بالأسرة .

وكان أمل ينتمى للريح والاضطراب . فرغم عزوة عائلته ، وقوتها ، وثرائها. إلا أنه كان دائماً لا ينتمى إلا إلى نفسه . كان والده عالماً من علماء الأزهر .. كان الوحيد فى العـائلة بل فى القرية كلهـا الذى حصل على أجازة العالميـة من الأزهر (١٩٤٠) ولهذا سمى ابنه الأول **(أمل)** الذى ولد فى نفس العام تيمنا بنجاحه .

كان والده يكتب الشعر العمودى ، ويمثـل السلطة الصارمة التى تصل إلى حد فرض العزلة على طفولة أمل ، ومعاملته كرجل صغير ليس من حقه ممارسة اللعـب ، والنزول إلى الشـارع والتعـامل مـع الأطفال ، حتـى نشـأ أمل طفـلاً انطوائياً خجولاً .

عرف أمل فقد أبيـه فى العاشرة من عمره فصـار ـ بحق ـــ رجل البيت فى هذه السن الصغيرة ، بعدما صـار الأهل غرباء ، **يسرقون الأرض من بين عينيه ، والصمت يطلق ضحكته الساخرة .**

صار اليتيم وعائلته الصغيرة ، بعدما تخلى الجميع عنهم ، سلعة لمن يملكون الثمن .

ورأيت ابن آدم ..

يتصب أسواره حول مزرعة الله

يبتاع من حوله حرسا ويبيع لأخوته

الخبز والمـــاء
يحتلب البقرات العجاف لتعطى اللبن
قلت : فليكن الحب فى الأرض
لكنه لم يكن
أصبح الحب ملكاً لمن يملكون الثمن
. . .
ورأى الرب ذلك غير حسن .

علمه اليتـم والألم والمرارة والظلم أن يصبـح رجلاً صـغيراً منـذ طفولتــه فى العاشرة ، لم يعـرف يعرف كان يلعـب الأطفال فى شوارع القـرية ، ظل أعــواماً طويلة يرفض أكل الحلوى لأنها فى نظرة لا تــرتبط بالرجولة ، اشتهر بين رفاق الصبا بأنه الشـخص الذى لا يعرف الابتسامة .

ظل يرفض دخول دور السينما حتى سن الرابعة عشرة ، لأن ذلك لا يليق به كشاب جاد ، حتى أن أول فيلم شاهده كان (**مصطفى كامل**) .

ترك الدراسة بعد اتمام دراسته الثانوية ، وبدأ رحلة البحث عن نفسه وحيداً وهو لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره .

علمه حصار الظــالمين وظلم الأقربين والأهل الانتباه الشـديـد للناس إلى حد الفزع ، وعلمــه أن يكره كل الظلم وكـل القبح وكل الـزيف (**وعلمت القلــب أن يحترس**) .

وعلمه ضياع ارث أبيــه وهو طفل على أيدى أعمامه أن يهب أحــلامه للفقراء وأن يخاصم الظلم ويخاصم العدل الذى لم يتحقق .

خصومة قلبى مع الله
قلبى صغير كفستقة الحزن .. لكنه فى الموازين
أثقل من كفة المـــوت
هل عرف الموت فقد أبيه ؟

هل اغترف الماء من جدول الدمـع

هل لبس الموت ثوب الحداد الذى حاكه ورماه ؟

خصومة قلبى مع الله .. أين وريث أبى

ذهـــب المـــلك

لكن لاسم أبى حق أن يتناقله ابنه عنه

فكيف يموت أبى مرتين

أيتها الأنجم المتلونة الوجه

قولى له : قد سلبت حياتين

أبـــق حيـــاه

ورد حيـــــاه

كان أمل ينتمـى إلى الشوارع ، والأزقة ، والطرقـات حتى أنه ذكر يـوماً أن تاريخ الأرصفة هو تاريخه الشخصى .

كـان يحمل بـؤس الفقراء والمطحـونين ، ويمتلـك معهم الكثير مـن المعانـاة والعذابات الطويلة .

. . .

ومنذ اللحظة الأولى لمعرفتـى بأمل سقط كل الزيـف البرجوازى ، وأصبحت أرى عالماً واحداً فقط هو عالم أمل دنقل .

ربما هو عـالم شديد القسـوة ، شديد الخطورة أحيـاناً ، لكنه كـان الصدق الوحيد فى حياتنا ، الذى يجب أن ننتمى جميعاً إليه .

قال الشاعر **نجيب سرور** وهو ينظر فى عينى أمل متعمداً :

ـ اسرعى بالفرار عصفور فى اليد خير من عشرة على الشجر .

ابتسمت بعناد : أنا لا أحب العصافير .

خاصمنى كثير من الأصدقاء لمجرد معـرفتى بأمل ، وحذرنى الكثيرون من أصدقائه وأصدقائى من الاستمرار فى معرفة هذا الشاعر خوفاً على سمعتى مع

رجل لا سمعة له .

سار ورائى رجلان من الجريدة **(لا أعرفهما ولا يعرفهما أمل)** ، وراحا يغنيان بصوت عال أغنية عزيز عثمان **(الغراب خطف اليمامة)** .

كان الارتباط بأمل يشكل فى أذهان الناس علاقة خطرة ، وخاصمت العالم من أجله ، من أجل نبالته الشديدة ، وقلبه النقى .

- اننى لن أستطيع الزواج بك فأنا لا أمتلك شيئاً .

-سنتزوج .

- ستشقين معى فأنا لا أملك قوت يومى .

- سأشقى أكثر بدونك ، وأنا أملك قوت غدى .

- كيف يمكننى الزواج بك فى ظل كل ظروف الاجتماعية ، ألم تدركى بعد أنى لا أستطيع رؤيتك كل يوم لأن علاقة الحب هى بالأساس علاقة اقتصادية لا أقدر عليها .

(كان أمل كثير التهرب من فكرة لقائى اليومى ، وكنت أبكى قسوة القلب الذى لا يمتلك نفس مشاعرى ، وكان يقبل تفسيراتى وبكائى صامتا ويؤجل اللقاء به إلى يومين أو ثلاثة بعد) .

- أمل أنا أحدثك عن الحب والزواج لا عن المجتمع واقتصاده .

- اننى أتكلم عن صميم علاقة الحب بك .

إننى أتكلم عن ثمن كوب الشاى الذى لابد أن أدعوك إليه ، إننى أتكلم عن ثمن علبة سجائرى التى لا بد من توافرها معى حتى لا أستعير سجائرك ، أن يحيي الطاهر عبد الله يغضب حين يرى معى علبة سجائر كاملة إن علبة السجائر ليست فقط رمز ثراء بيننا بل هى إشارة إلى ثراء مريب يستدعى غضب قصاص كبير كيحيى .

إننى أتكلم عن الوصول إلى موعدك عبر مواصلات عامة خانقة لابد من توافر ثمن تذاكرها ، اننى أتكلم عن الجوع الذى يحاصرنى يومين ، فأنام هارباً

منه ، ثم أستيقظ به للقائك .

إننى لا أتكلم عن المجتمع لكنه ، يصر على أن يحضر معى للقائك .

إنك تعملين وأنا لا أعمل ، ولن أعمل ، انك تحملين شهادة جامعية ، وأنا لم أفكر ، وربما لم أمتلك ما كان يمكننى من مواصلة الدراسة بكلية الآداب ، ففصلت بعد عامى الثانى فيها .

اننى أتكلم عن راتب شهرى يمكن أن يعول أسرة لابد لها أن تأكل وتنام على الأقل .

ان اختياراتى ليس عليك أن تتحملى تبعاتها وعذاباتها .

وكأنى لم أسمع شيئاً من هذا الذى انفجر داخله للمرة الأولى بعد سنتين من معرفته .. كنت أعتبر ذلك دخولاً فى تفصيلات هامشية لا تمس جوهر الحب وجوهر الحقيقة .

ـ أمل إننا سنتزوج ليس فقط انتصاراً للحب ، ولكن ، إنتصاراً لاختياراتك .

* * *

أيـــدوم لنـــا البيـــت المرح
نتخـــاصـم فيــه ونصطلــح
دقــات الســاعــة والمجهــول .
تتبـــاعــد عنـــى حين أراك
وأقــول لـزهـر الصيـف أقـول
لـو ينمـو الـورد بـلا أشـواك
ويظـل البــدر طـوال الــدهـر
لا يكبر عـن منتصــف الشهـر
آه يـــا زهـر .. لـــو دمـت لنـــا
أو دام النهــــــــــــر .

أمــل دنقـــل

« أول الفـــــــرح »

أحدثت فكــرة الزواج زلزلة فى حياة أمل كلهــا ، هو الذى ظل يفاخــر طويلاً بعداوته لمؤسســة الزواج ، حتى أن أحد الصحفيين فى جريــدة الفجر الخليجية اعتبر زواج أمل دنقل خبراً مثيراً يستحق التعليق عليه ، فهو أمر لا يمكن حدوثه إلا فى لحظة من لحظات الغيبوبة أو السكر الشــديد ، أو المقامرة ، فكيف يتحول أمل برضاه من رجل يسير على رأسه ، إلى رجل يسير على قدميه !

كل شىء مع فكرة الزواج كان يبدأ من جديد .

بدأت فكــرة السفر خــارج مصر هى الحل الاقتصادى أمــام رجل يــريد أن يتزوج ، هكذا بدأت فكرة الزواج بمشكلة نفسية تحوله من حالة شاعر لا يشغله شىء إلا الشعــر ، إلى مجرد رجل عادى تشغلــه قضايــا عادية حــول اجراءات الزواج ، واعداد مسكــن ، وإمكانيات مادية لا بــد من توافرها ومــلابس زفاف وعرس ، وثوب العرس هو الذى ظل طويلاً لديه النجمة التى تدور فى سراب .

كانت بيروت هــى الطريق الأول المفتوح ، خــاصة بعد أن عرض عليــه طلال سليمان رئيس تحرير جريدة السفير مسئولية القسم الثقافى فيها .

ولم يكن الأمــر سهلاً بالنسبة لى ، وبــالتأكيد بــالنسبة لأمل أيضاً . بــل بدأ الارتباط بى بهذا الشكل ، فى ظنى ، مدمــراً حيث يحول شكل العلاقة وطبيعتها من فتاة استطاعــت أن تمنحه بعضاً من الطمأنينة والهدوء داخــل ذاته القلقة ، وعلى أرض الوطن ، إلى زوجة سترسل به إلى الاغتراب والمنفى مرة أخرى .

فى سنة ١٩٧٦ كتب أمــل قصيدة **(مقابلة خاصة مع ابن نوح)** أعطانى القصيدة ، وقــال إنها أول قصيدة أكتبها إليك .. وكــانت القصيدة تحمــل رؤية

سياسية وإجتماعية بالأساس ، بل وأنا غير موجودة فيها على الإطلاق .

قلت : لكنى لست فيها .

- كيف ، انك صلبها الأساسى ، لقد استطعت أن تعيدى لى الإحساس قوياً وجميلاً بالوطن .. إن سطورها الأخيرة هى أنت بالتحديد :

يرقد الآن تحت بقايا المدينة
وردة من عطن
بعد أن قال (لا) للسفينة
وأحب الوطن .

بدأ السفر يشكل لى أزمة نفسية ، على مستوى إغترابى ، وعلى مستوى أنه يدمر ليس فقط علاقة الحب وما أحدثته من تغير داخل نفسية أمل ، ولكن لأنه سيعود بنا مرة أخرى إلى البداية ، أو يلقى بنا إلى المنتهى ، حين نبدأ بالفشل ، ويقول أمل (نعم) للسفينة .

شغلت كثيراً بفكرة السفر **(الحل والهزيمة)** ، لكن أمل كعادته فى مواجهة المشاكل الحياتية اليومية ، لا يتوقف كثيراً أمام تفاصيلها . ولا يستغرق ظاهرياً فى همومها ، أو بمعنى أدق لا ينشغل بمناقشتها ، بل يتركها وراء ظهره تاركاً للأيام مساحات لإختيار الحل.

...

ثم كان زلزال آخر أحدثته فكرة الزواج ، وهو اضطرار أمل إلى بيع بعض القراريط التى يملكها عن والده فى الصعيد من أجل اتمام الزواج ، وإقامة العرس، وشراء خاتم ماسى ثمين أصرت عائلتى على أن يكون شبكة العروس التى هى أنا .

ولم أكن أفهم معنى بيع أرض الصعيد حتى أدركت صعوبة ذلك فى نفس أمل ، فكل شىء إلا الأرض ، ولهذا لم يبعها ولكنه رهنها لأحد الأقارب ، وكان

أيضـاً لا يحب الخوض فى مثـل هذا الموضــوع كثيراً ، وكـأنـه جزء مـن شرفـه الصعيدى .

. . .

قبل موعد الزفاف بساعات قليلة ، وبعد أن استيقظ أمل متأخراً كعادته راح يشترى مع صـديقه المثال عونـى هيكل بدلـة العرس ، وقميصاً وكرافتـة حتى تأخر عن الموعد قليلاً .

كان طبيعياً خلال حفلة العرس ، سار كعـريس تقليدى وسط دفوف الزفة ، ومـوكب الشمـوع التـى تحمله الفتيـات الصغيرات ، لكنـه ، لم ينس أن يمنـح الراقصة وعازفى الدفوف معها اكرامية خاصة .

كانت هناك أكثر من سيارة ، بينهـا سيارة زينت خصيصاً بالورود لتحملنا بعد انتهاء الفــرح إلى شقة العرس ، رفض أمل ركـوب هذه السيارة ، وأصر على أن نركب سيارة أجرة !!

ولم يكن الأمر فى تصـورى يحمل أى دلالة لدى أمل سـوى دلالة الارتباك ، لكن هذا الموقـف شكّـل لدى والدتـى استياء تجاه أمل ، لكنهاً سرعـان ما قبلته مضطرة فى اندهاش !!

لم أفكر كثيراً فى السيارة المزينة بالورود وموقف والدتى المستاءة ، ولم أفكر أيضاً فى السيارة الأجرة ومـوقف أمل المربك ، فالفرح قـائم داخل أى سيارة أو حتى سيراً على الأقدام .

كان الزواج هو أول الفرح ، بل هو الفرحة الوحيدة فى عمر أمل كله ـ على حد تعبيره ـ بينما كان أمل هو كل الفرح الذى أعطاه الله لى ، وأغدق فى عطائه .

* * *

فى صباح ليلة العـرس نزل أمل لشراء علبة سجائر ، ولم يعـد ظهراً ولم يعد حتى الثامنة مساء .

وكدت أجن .. هكذا أول القصيدة كفر .

وبانفعال سألته : **أين كنت ؟**

أجاب بهدوء كعادته :

ـ دعيت إلى كأسين فى صحة زواجى ، فامتد الحوار ، وضاع الزمن . أقسمت يومها ألا تدخل الخمر بيتنا على الإطلاق .

وافق أمل بسهولة ، فالأمر لا يعنى شيئاً ، لن تدخل الخمر بيتنا لكنه سيدخل كل بيوتها .

«يا إلهى كم أنت طيب .. خلقت لنا الخمر الجميلة» هكذا كان يستعير دائماً صوت كازنتزاكس .

...

خلع سترته ذات مساء ، مخرجاً من جيبه كأساً من الويسكى .

بكيت زواجى من لص خمور .

ضحك أمل من مثالية لا تدرى أن إطفاء أنوار البارات لا يعنى إطفاء جذوة الشوق إلى الثمالة .

سألته فى بداية لقائى معه :

ـ هل تشرب لتكتب ؟

استنكر بشدة الربط بين إبداعه والخمر ، مؤكداً أنه على العكس حين يمارس الكتابة فهو يمارس قمة وعيه حاضراً ، ولهذا فهو لا يكتب حتى وهو نصف ثمل.

هل تريد قليلا من الخمر ؟
إن الجنوبى يا سيدى يتهيب شيئين :
قنينة الخمر ـــ والآلة الحاسبة .

هكذا راح أمل يسجل موقفه الداخلى من الخمر فى قصيدة الجنوبى وكأن الخمر هى إحدى الأقنعة التى كبرت فى المدينة يوماً بعد يوم ، مخفية وراءها الملامح ذات العذوبة ، والقلب الذى يترقرق بالطيبة .

...

كان كل شيء يبدو مختلفاً .

الساعة الواحدة مساء ، أو الثانية أو الثالثة : **هل لديك مانع لدعوتك إلى شوارع القاهرة ؟**

وقبل أن يكمل عبارته أكون قد ارتديت ملابسى ، ومع أول نظرة إلى الشارع نبدأ فى الغناء :

يا نسمة الحرية ياللى مليتى حياتنا
يا فرحة رايحة وجاية
بالحب فوق جنتنا

الحرية كانت هى الملمح الهام والمميز لشخصية أمل ، وهى جزء أساسى فى تكوينه الفكرى والسلوكى ، إنها مطلب وجودى وحياتى وقومى ملح ، تتطلب منه نوعاً من الصراع الدائم والمستمر لتكسير كل عوائقها وثوابتها ومسلماتها.

ان العائق قائم ومستمر ، والتكسير أيضاً قائم ومستمر .. كسر قانون الصعيد الصارم حين خرج على اللغة السائدة والتقاليد الموروثة والعرف العام، خرج حتى على المسلمات الدينية وإيمان العوام والمقدسات الثابتة .

إن قصيدة **(مقابلة خاصة مع ابن نوح)** لا تشكل خروجاً فقط على الموروث الدينى السائد ، بل تشكل تعديلاً وتثويراً لطبيعته ، حيث يطل ابن نوح فيها متمرداً عصرياً ، خارجاً من فكرة العقوق السلفى إلى الثورة .

خرج أيضاً على ثقافة الطبقات السائدة والأطر الشرعية الجامدة حين تكتسب رموزها تجسيداً سلطوياً ، بل وعبثياً باطلاً ، يهبط دائماً إلى نتائج خاضعة ..

أبانا الذى فى المباحث
نحن رعاياك .. باق
لك الجبروت .. وباق لنا الملكوت

وبـــاق لمــــن تحــــرس الرهبــــوت

كسر أمل الاحتقار الذى يكنه الشعراء الجدد للقافية كقيمة موسيقية .

كسر الانتماء للميثـولــوجيـا الإغـريقيــة التـى ســادت رمـــوز الشعـر بالخمسينيات.

كسر احتقار الشعـر السياســى الذى ســاد فى أوائل الستينيات لــلإنحطاط اللغوى والفنى الذى ساد الشعر الوطنى بالخمسينيات .

كسر ما يسمى بالمصرية والشعبية فى الشعـر بانتمائه إلى الحضارة العربية والشعر العربى .

إن عمليات الهدم المستمر كانت مشـواره المستمر للتحقق سعياً إلى الحرية كغايــة ومطلب ، ولهذا أخــذت الحرية ـــ كقيمة ـــ شكل الصراع ، وليـس شكل التحقق المطلق ، فلم تحتو أشعاره أغنية مطلقة للحرية ، ولكنه دخل فى صراع مع سجونها ومقاصلها وعوائقها ، فالإنســان الحر هو الإنسان الحقيقى ، وقد كان أمــل دائماً انســانــاً حقيقياً فى شرف سعيــه إلى الحرية ، وفى شرف تحقيقـه لها، يكون دائماً نفسه ، وليس مــا يريده منه الآخرون ، أو ما تفـرضه عليه الأخلاق العامة .

إنه يعيش دائماً ، ويسلــك دائماً ، كما يريد هو ، ممتلئاً بحياتــه حتى الثمالة يحيا كل لحظة أضعافاً مضاعفة ، بطولها وعرضـها وعمقها وارتفاعها .

ومن هنا اكتســب مشواره مع الحرية معنــى زمنياً يضاعف وعيــه بالحياة حين يضاعف نبض اللحظة ويثريها .

انه نفسه دائماً ، وليس ما يريده الآخرون ، ولهذا رفض كثيراً الانضمام إلى جماعة ، أو إتجاه ، أو حــزب معين ، مؤمناً بحريتــه الفكرية والسياسيــة والتى شكلت الأفكار الماركسية والوجودية الكثير من خطوطها .

ولم يكن عزوف أمــل مقصوراً على المؤسسات أو الجماعات الـرسمية والتى بالطبــع كانــت تشكل تناقضــاً جذريــاً مع أفكــاره ، بل كان عــزوفاً أيضــاً عن

المؤسسات الثورية أو الحزبية المعارضة .

ولقد أتيحت له العديد من الفرص ، كان من الممكن أن يكون بسببها (نجماً ثورياً) ككثيرين ، لكن الأحزاب المصرية فى ممارساتها ، ورؤاها السياسية والفكرية كان لأمل موقف صريح منها . بل إن الأمر كان أبعد من ذلك ، إنه فهم أمل لدوره كشاعر ، يتحقق كيانه الحقيقى داخل القصيدة من حيث هى قصيدة فنية تخدم قضايا هذا المجتمع ، يتحقق من خلالها فهمه للوطن ، والثورة والحرية .

ان الاتجاه السياسى الذى تفصح عنه قصيدة ما لا يمكن أن يكون صحيحاً إلا إذا كان إتجاهها الفنى صحيحاً .

لقد كان موقفه السياسى فى خدمة وطنه ، وكل القوى الثورية ، دون أشكال أو مؤسسات ، وكان ذلك واضحاً وصريحاً فى شعره وأسلوبه ورؤيته .

إنه ضد المؤسسات من حيث هى مؤسسات ، وضد الأحزاب من حيث هى أحزاب ، وحتى لو وجدت المؤسسة الثورية السليمة لصعب على أمل فى ظنى الاندراج فيها . فالأحزاب لديه كانت تعنى دائماً اليقين والثابت وهو الذى ظل طوال حياته ضد اليقينى ، والثابت ، والأفكار والعقائد الساكنة .

كما أن الشعر فى داخله كان يدفعه إلى تجاوز كل يقين مؤقت إلى عوالم جديدة ، ولهذا وقف دائماً مع (الحلم) ضد (الواقع) ، ومع الآتى ضد (الحاضر)، مكوناً وحده حزباً شعرياً على الآخرين أن يتبعوه ويسيروا وراءه .

...

كان سؤاله الشهير قبل الزواج وربما بعده أحياناً إلى الأصدقاء المتزوجى :

ـ كم فقدت من الحرية بعد زواجك ؟

يجيبونه ضاحكين : ـ خسائر قليلة .

ولم يخسر أمل كثيراً فى زواجه اللهم إلا بعض القيود الصغيرة ، والتى لا تمس جوهر حريته ، وإن كان كثيراً ما ظن أن زواجه بى (أفسده) فبدا أكثر رقة

من ذى قبـل ، وربما عرف شيئـاً لم يكن يعـرفه على الإطـلاق ، وهو الخوف ..
الخوف على ! إن مجرد تأخرى فى العمل ساعة بعد موعدى معه ، يصيبه بالقل ،
والخوف غير الطبيعى ، حتى أجىء فيطمئن ويعود إلى هدوئه .. كما أن خروجه
من البيت بمفرده كان يحمله نوعاً من التوتر والإحساس بالذنب الداخلى لتركى
بالمنـزل وحدى ، ثم يضيـق بهذا التوتـر والقلق فيحملنى أسبـابه ، ويصر على
خروجـى معه ، حتـى صارت القـاهرة تعـرفنا دائماً متـلازمين ، فى المقهى ، فى
الشارع ، فى الاتيليه ، فى الندوات ، وسط الأصدقاء ، فى المسارح ، فى دور السينما

بدونا صديقين أكثر من زوجين ، بل خرجنا على أشكال الزواج التقليدية حين
صار الشارع بيتنا نقضى فيه أكثر مما نقضيه داخل المنزل .

كان الحب فى داخله ، وكان التصاقى الشديد به يشعره كثيراً بالقيد والتوتر
والعبء النفســى أحياناً ، ولعـل مرد ذلك إلى إحساســه العميق الدائم بـأنه لم
يمنحنى راحة أو أن الحياة ذاتها لم تمنحنا إستقراراً .

. . .

احتدت المناقشة فى إحدى الأمسيات بمنـزل أحد الأصدقاء بينه وبين أستاذ
جامعى للأدب العربى ، ثار الرجل مطالباً أمل أن يلزم حدود المناقشة مستخدماً

عبارة (**اعرف حجمك**) .

جن أمـل يومها ، مؤكـداً أن لا رأس أعلى من رأسـه على هـذه الأرض جميعها
حـاول الرجـل الاعتذار ، وحـاول معه كـل الحاضرين ، وأمـل لا يقبل اعتـذاراً
مختنقاً فى داخله بالحاضرين وزوجاتهم ، ولعله تمنى فى هذه اللحظة لو كان على
قارعة الطريق حراً غير مقيد بشىء ، لقتل الرجل قتلاً .

ظل أمل ثـلاثة أيام لا يستطيع النـوم ، لأنه لم يستطع أخذ ثـأره جيداً ، بل
واتهمنى يومها بـأنى أفسدت سلوكاته فإن وجودى وحـده هو الذى حال دون
عنفه ، بل ودون عنق الرجل .

كان صعيدياً حتى النخاع إذا غضب .. انه ينفجر فى دمه .

ولعل تلك التحسبات أو تلك السلوكات الاجتماعية التى فرضها عليه وضعه كزوج كانت إحدى الخسائر التى فقدتها حريته فى ظنه .

* * *

يستيقظ أمل ظهراً وكنت أصحو قبل ذلك كثيراً حتى يمكننى الذهاب إلى جريدتى والعودة قبل استيقاظه كمن هى على موعد غرامى جديد .. فقد كنت أشعر دائماً بفرحة حضوره ، وأحرص على تواجدى معه .

كثيراً ما غالبنى النوم فأقوم بغسل وجهى ، وتناول فنجان من الشاى أو القهوة ليساعدنى على الاستيقاظ جواره ، ولم يكن يعنى ذلك حواراً دائماً ، فأمل قليل الكلام داخل المنزل ، انه ينسى وجودى ، وكأنى صرت نفسه فيمارس صمته الطويل وشروده وقراءته المستمرة .

حين تكونين معى أنت
أصبح وحدى
فى بيتى

الصمت أيضاً ملمح هام فى طبيعة أمل داخل المنزل ، ولعل طبيعة الكتمان الذى يفرضه على مشاعره ، وعلى قلبه هى جزء من طبيعة الصمت الذى يمارسه، مكتسباً بذلك معنى التواصل ، وكأنه يكون حين لا يقول وليس حين يقول .

يجلس مع والدته طوال اليوم ساعات طويلة دون أن يقيم حواراً معها .. وهى أيضاً لا تلفظ كلمة واحدة أو تبادله الحديث .

ـ أمل لماذا تظل صامتاً ولا تكلم أمك كثيراً ، بل كيف تتبادل هى معك هذا الصمت طويلاً ؟

ـ إن هذا أجمل ما فيها .. إنها تعرف كيف تصمت معى !

هو الصمت ، السكينة ، والهدوء ، والاطمئنان ، والقوة ، والصلابة ، والنبالة، والتواصل الإنسانى ، بل إن شعره أيضاً عرف كيف ينقل هذا الصمت الحاضر .

...

ولم أمتلك فى البداية هـذا الفهم الإنسانى للصمت ، وكأنـى أنتمى للضجيج وكان هـذا يزعـج أمل كثيراً فى بـداية زواجنـا ، فيفرض على الصمـت ، بينما لم أحـاول يومـاً أن أفـرض عـليه الضـجيج ، فإذا شـاء الصمـت ، صمـت مضـطرة .

ربما هو الفـارق الزمنى بين عمـرينا (١٣ عاما) وربما هو فـارق الخبرة والتجربة فى حياة كل منا هو الذى أحـدث نوعاً من الاختلاف النفسى وأبعدنى عن أن أكون الزوجة / الأم ، أو حتى الزوجـة / الزوجة ، وجعل منى ما لم أكن أريده ، وهـو على حد تعبيره طفلتـه المستحيلة ، شـديدة الإنبهـار به ، شـديدة الإعجاب به ، إلى حد التمثل .

أتحسـس وجهـــك !
(هـل أنـت طفلتـى المستحيلـة
أم أمـــى الأرمـــلة ؟)

يبدأ فى قـراءة الكتاب فـلا ينام حتى الانتهـاء منه أو إذا غـالبه النـوم يضـع الكتاب مفتوحاً أمام عينيه حتى إذا استيقظ خـلال نومه المتقطع ، يواصل قراءة الكتاب ، ولهذا لم ينم سـوى فى الضوء دائماً .. بل كانـت قراءته تأخـذ أوضاعاً غريبة ، مرة وهو ممدد بعـرض السرير بينما الكتاب مفتوح على الأرض .. ومرة ممسكاً بالقلم وتذيل هوامش الكتاب حتى ولو كان كتاب القرآن .

كان ينام على بحيرة من الأوراق والكتب والمجلات والأقلام والجرائد عجزت تماماً عن تنظيم تلك الفوضى حتى أصابتنى أنا أيضاً مثله العدوى ،

واختيار القراءة كان اختياراً للشعر . .

فمثلما فرضت عليه البيئة الصعيدية اختيـار الكتابة كاختيار طبيعى داخل مجتمع متخلف ، تصبح للكلمة فيه وقعها السحـرى ، فرضت عليه مكتبة والده (عالم الأزهر ، الشاعر) توجها نحـو الثقافة الدينية ، كما أن اختيـاره الذاتى لكتابـة الشعر ، فـرض عليه داخل بيئتـه المحدودة تلـك أن يبحث عـن مصادر ثقافته الخاصة ، ويكون لنفسه صوته الخاص دون مساعدة من أحد .

كانـت مكتبة والـده الدينية أول مصـادر ثقافته ، بما احتـوته مـن كتب فى الشريعة والفقه والتفسير .. وما ضمته من كتب التراث والشعر القديم .

ولا أدرى إذا كانت ثقـافته الدينية فى تلـك الفترة المبكرة من حياتـه هى التى فرضـت عليه نشـاطه الدينـى ، من إلقـاء خطب الجمعة فى المسـاجد ، وأمـامه المصلين وحضور الاحتفـالات الدينيـة ، أم أن نشاطه الـدينى الـذى استواه فى سنوات الصبا تلك هو الذى حتم عليه تكثيف قراءاته الدينية .

فى الخامسة عشرة من عمـره .. اشترى من إحدى مكتبات مدينـة قنا كتابين (الفتوحات المكية) و(ألف ليلة وليلة) .

اندهش أحد الأصدقاء : (ابن عربـى .. وألف ليلة !!) كتاب دينى وكتاب جنسى ؟!

ورد أمل بأن ذلك لم يخطر على باله ، فلم تكـن ألف ليلة فى ظنه كتاباً إباحياً ولكنها كـانت كتابـاً هاماً . وجده أمـامه فى مكتبة قنـا بثمن زهيد ، هـو خمسة قروش للجزء .

فى تلك السنـوات قرأ العديد مـن كتب التراث والملاحم والسير الشعبيـة ، ثم أعاد قراءتها بعد ذلك مرات عديدة ، وفى طبعاتها المختلفة ، يحركه حس تاريخى لاكتشاف الطبقات المتراكمة وراء الحكايات والمعلومات .

ففى قراءتـه لكتاب ألف ليلة وليلة ـــ كما ذكر يوماً ـ كـان يبحث عن الجزء المصرى فيها والآخر البغـدادى ، والآخر الذى يرجع إلى ممالـك تيمور لنك كما وجد أن شخصيات مثل هـارون الرشيد أو أبو نواس لا علاقة لهم بشخصياتهم

الحقيقية ، وإنما هى مجرد رؤية شعبية لها .. ولاحظ أن أغلب أبطال ألف ليلة تجاراً ، حيث شهدت هذه الفترة ازدهاراً لطبقة التجار الذين امتلكوا الحياة الاقتصادية بينما امتلك المماليك مقاليد السلطة .

كانت القراءة بالنسبة إليه بحثاً واكتشافاً ، لم تكن مجرد تراكم للمعلومات ولكن ، ما تثيره هذه المعلومات فى الذهن ، حتى يمكن القول بأن قراءته كانت عملاً إبداعياً .

يقرأ عن الإله (هبل) فيبحث عن امتداداته فى الحضارات الأخرى ويعقد مقارنة ودراسة مكتوبة بينه وبين الإله (بيل) عند الكنعانيين ، والإله (بعل) عند الأراميين .

ثم يقدم دراس تاريخية عن قبيلة (قريش عبر التاريخ) ويقوم بنشرها ثم يقوم بإعداد دراسة طويلة عن أسباب نزول آيات القرآن من منظور تاريخى (رفضت جريدة الأهرام نشرها) .

ظل اهتمامه بالتراث وبأيام العرب والتاريخ الإسلامى يرجع بالأساس إلى محاولته الدائمة للبحث عن هويّة ـ كما أكد دائماً ـ إنطلاقاً من حس عربى وإيمان بأن مصر عربية الروح ، عربية الانتماء .

وقد حاول أمل فى كتاباته الأولى ، استخدام الأساطير الفرعونية ، فكتب قصيدة استخدم فى احدى مقاطعها قصة الأخوين (باتا) ، ولما قرأ هذه القصيدة على الدكتور لويس عوض (وهو من أكثر المتحمسين لفرعونية مصر) سأله الدكتور لويس عما يريد قوله داخل المقطع بالقصة الفرعونية ، وعندما ذكر أمل الخلفية الفرعونية المستخدمة داخل القصيدة ، تنبه الدكتور عندئذ فقط .

كانت هذه الواقعة كثيراً ما يشير إليها أمل فى معرض حديثه عن توقفه عن استخدام التراث الفرعونى فى شعره ، لقد تيقن بأنه تراث لا يحيا فى وجدان الناس وأنه ليس له أرضية ، وعمق يمكن استخدامه ، بل إن انتماء المصرى

الحقيقى هو انتماء عربى وإسلامى بالأساس ، فالبطل الوجدانى المصرى . هو الحسين وخالد بن الوليد وليس أحمس أو أوزوريس .

وقد كان فى تقديره دائماً أن هذا التراث الإسلامى ، أو هذا الانتماء الإسلامى لدى المصريين هو فى حقيقة الأمر إحساس بالعروبة ، متخذاً شكلاً دينياً .

...

وفى أواخر الخمسينيات بدأ أمل الاهتمام بقراءة الكتب الماركسية ، والوجودية ، فقرأ ماركس ، وانجلز ، واهتم بشكل خاص بقراءة كتب لينين .. ثم بدأ تكثيف قراءاته لفلاسفة الوجودية (كيركجارد ، هيدجر) وبشكل خاص كتب سارتر وكامى (الوجود والعدم) و(أسطورة سيزيف) (الإنسان المتمرد)، لكنه فيما بعد ركز كل اهتماماته فى كتب التاريخ ، والسياسة والاقتصاد ، واللغة ، والكتب الدينية ، والتراث ، والأساطير ، والإبداع الأدبى بالطبع .

ويظل برأيي كتاب القرآن الكريم ، والكتاب المقدس (العهد القديم . العهد الجديد) هم أهم ثلاثة كتب فى ثقافته ، تلقى الكثير من الضوء على إبداعه ولغته .

* * *

ومع القراءة (العمل الابداعى الكاشف) يطل الحضور المبهر للذاكرة .

يتمتع أمل بذاكرة عظيمة ، تستطيع استحضار كافة التفصيلات ، واستعادتها فى نضارتها الأولى .

إنه قادر دائماً على استعادة جزئيات دقيقة من كتاب قرأه فى ليلة واحدة من سنوات ، قادر على استعادة قصيدة كاملة (ولو رديئة) لشاعر غير معروف ، أو قصيدة نسى صاحبها ان ما يردده أمل هو كلماته .

انه بالفعل ـ كا ذكر بدر توفيق ـ يعرف كل صغيرة وكبيرة من أصول أهل المدينة وتجاربهم .

إنها الذاكرة ، تلك الهبة الطبيعية التى شكّلت احدى مفردات الموهبة .. ففى صباه الباكر حفظ ألف بيت من الشعر القديم (من أجل أن يكون شاعراً) كما

قال له مدرس اللغة العربية فى المدرسة .

وتكاد قصيدة «الجنـوبي» أن تكون قصيدة (الذاكرة القويـة) ليس فقط فى استعادتها للطفولة البعيدة ، بل لأن مفردات اللغة فيهـا تكاد تتطابق مع رسالة نثرية كتبها أمـل (قبل عشر سنوات من القصيدة) إلى الدكتـور سهيل أدريس نشرت فى اليوبيل الفضى لمجلة الآداب (عدد ديسمبر ١٩٧٧) :

«يلتفت القلب إلى الوراء !

هل كنت أنا ذلـك الفتى الممتلئ بالحلم الواثق (اليوم : أمـع شظاياه من أرضية الـروح القاتمة) هـل كنت أنـا الذى وضـع ذات صباح قصيـدة فى غلاف وعنوانها : بيروت ـ الخندق العميق ـ شارع سوريا (الآن : من حفر الخندق بين بيروت وشارع سوريا ؟)

يلتفت القلب إلى الوراء : من دل يدى على عدد الآداب ، قلبـت فيه فوجدت اللمسة التى هـش لها القلب ، لمسه جيل جديـد يكتب ببساطة ورقـة وسخرية واثقة ، حتى المعـارك التى تشتعل خلف غبارهـا عذوبة طفلية ورغبـة جارفه للكبر قبل الأوان .

يلتفت القلب إلى الوراء :

كيـف استطعت أن أصبر عـددًا تلـو الآخر دون أن أجـد اسمـى ـ لابـد أن بضاعتى فاسدة دون أن أدرى ـ إلى الاسكندرية أيها المغامر ، لاشعر بعد اليوم ـ واكتشف فيما بعد أن قصيدتي نشرت ، وهكذا قرأت قصيدتى الأولى فى الآداب بعد عامين كاملين من نشرهـا ـ حين قررت العودة إلى الشعر والقاهرة استعنت بصديـق لاستعيد ما فـاتنى مـن القصائد والأسماء ، وهكذا وجـدت نفسى محشوراً فى صفحتين كاملتين . وتحتهما توقيعـى الكريم **(رحم الله صديقى : فقـد تخرج وحارب وتـزوج وأنجب وطلـق ومات فى خمس سنـوات)** اذن فالآداب طويلـة البال والحبال ، ولو ظللنا على هذه الحال لفقـأت الآداب مرارتى قال لى صلاح عبـد الصبور : لماذا لا ترسل شيئا لـلآداب ، لقد نشرت هنا كثيراً

لكنك لن تكون شاعراً عربياً إلا إذا نشرت لك الآداب.»

....

ولعل قصيدة (الخيول) فى الديوان الأخير ، لا بد أن تستحضر معها خيولاً اخرى فى الذاكرة ، سكنت قصيدة (العشاء الأخير) فى الديوان الأول .. ولعلها تستحضر فرس الطفولة الذى أوقعه يوماً وترك فى جبينه شجاً ، وعلمت القلب أن يحترس .

إن الذاكرة جزء من عمله الإبداعى ، فهو لا يضع تخطيطات أولية لقصيدة ثم يتابع تطورها .. ولكنها تتراكم فى ذاكرته يوماً بعد يوم ، وسنة بعد أخرى دون مسودة واحدة .

إن كل شىء محفور فى ذهنه المتقد ، فأمل شاعر .. بل رجل لا ينسى !

. . .

كان مزاجى العصبى الحاد يجعلنى فى ثورة دائمة على أمل داخل المنزل ، فهو زوج كسول ، لا يفكر فى كياننا كأسرة ، وكأن كل ما فى الأمر أنه بدل من أن يحيا بمفرده ، أصبح يحيا مع صديق آخر ، لا تشغله مشاكل ولا مواعيد ولا أى شىء، يحترف الصمت ، ويهرب من كل أشكال الحوار ، فكل ما يشغله هو كيف يقرأ ، ويكتب فى هدوء .

أغضب منه فأمزق صمته بالثرثرة ، وإعلان حضورى الصارخ ، أعلن العصيان والتمرد حتى عن تقديم كوب شاى ، أو مناولته جريدة أو كتاباً ، بينما يأخذ غضبه صورة هادئة للغاية ، يرفض فيه منطق الخصام والعصيان والتمرد الصغير ، ويصر ــ رغم غضبه ــ على خروجى معه ، ويصرّ على محادثتى، ويهدينى نبالته .

أمتنع عن الطعام معلنة الإضراب يوماً كاملاً ، حتى يغالبنى الجوع بعد منتصف الليل فآكل ، يلقى على محاضرة كاملة فى كيفية اتخاذ موقف ، فالمواقف

الصغيرة لا يصح أن نمارسها ، والمواقف ذات خطوط الرجعة ببساطة ليست مواقف .

* * *

كانت الشهور الأولى من الزواج شديدة الصعوبة من الناحية المادية ففكرة السفر إلى بيروت تراجعت ، كما أننى لم أكن مقتنعة تماماً بالسفر ، وأمل أيضاً لم يكنْ متحمساً لها بشكل جدى ، فلم نطرحها كثيراً بعد الزواج ، إن جذورنا ممتدة إلى آخر مدى داخل الأرض المصرية .

كان راتب أمل الشهرى من تلك الوظيفة الاسمية بمنظمة التضامن الأفروأسيوى لا يتجاوز الثلاثين جنيهاً ، بل إن العمل طوال حياته لم يكن شاغله، فقد كان دائماً موظفاً فاشلاً لا يذهب إلى مواعيد العمل أبداً .

إن الوظيفة أو المال أو البيت أو الثروة أو أى طموح مادى أو حتى معيشتى لم يكن من شواغله ، فهمه الوحيد ، وطموحه الأكبر ، أن يعيش لحظة الإيقاع النادرة بين نثر الحياة اليومية وتوتر الشعر .

ولم يكن راتبى من العمل بالجريدة فى ذلك الوقت كبيراً ، ربما لم يتجاوز الخمسين جنيهاً ، كان هذا هو كل دخلنا المادى ، بينما إيجار الشقة المفروشة التى نقيم فيها وحدها خمسين جنيهاً ، هذا غير أجر الشغالة الذى يصل إلى عشرة جنيهات شهرياً ، أى أنه كان ينبغى علينا أن نحيا بعشرين جنيه فقط ، ودون مساعدة من أحد .

ولم يكن الفقر يعنى لدينا شيئاً ، أنه ليس أكثر من حالة يمكن أن يعيشها أغنى الأغنياء ، وكنا فى أشد لحظات الفقر أكثر غنى من كثيرين.

جلس معنا صديق ، فتح حافظة نقوده الممتلئة (ربما بأكثر من ألفى دولار أجر عمل من أعمال السيناريو التى يقوم بها ...)

هل تريان كل هذه الأموال !

ضحكنا فقد كان شديد الفقر رغم أمواله .

...

وكان لأمل صديق تاجر سيارات ، وكانت سعادته الوحيدة ، بل متعته الكبرى هى البحث عن أمل طوال الليل لدعوته على العشاء ، إنها الفرصة الوحيدة لتأكيد سيادته أمام مجموعة من المثقفين والمشاهير ، وكان أمل يرفض هذا المنطق النفسى الرأسمالى فيصر على دفع حسابه وحسابى .

يقسم الرجل ويلح بإنفعال شديد يصل إلى حد البكاء ، دموع حقيقية تملأ عينيه وهو يردد : **لماذا يا أستاذ أمل ، إن دعوتك شرف لى .**

لكن أمل العنيد يصر أكثر وأكثر :

ـ اننى لن أمنحك هذا الشرف .

يغضب الحاضرون من تعنت أمل : الرجل يدعوك وهو صادق فى دعوته .

ـ حتى الصدق لا يشترينى .

وعلى العكس من ذلك ، يملك خمسين أو ستين جنيهاً ، فيدعو أصدقاءه إلى العشاء ..

إنها الحساسية الشديدة أو مرض الكبرياء كما أسماه ابراهيم منصور .

• دعا أمل ستة من الأصدقاء إلى السهر معنا ، وكان كل ما فى جيوبه يومها لا يتجاوز ستين جنيهاً ، وعندما جاءت فاتورة الحساب كانت قد تجاوزت الثمانين حاول بعض الحاضرين الإسهام فى دفع الحساب ، بينما أمل يصر بشدة ، بل يقسم أن لا يحدث أبداً .. أنكم ضيوفى .

يزداد إندهاشى ، فأنا أعرف ما فى جيوب أمل ، يضحك من إندهاشى وحرجي، ويهمس لى : **لا توجد كارثة فى العالم .**

ثم يكتب إلى الجرسون : **هؤلاء جميعاً ضيوفى ، وهذا كل ما معى حتى أجيئك غداً ، ينحنى الجرسون باحترام شديد ، ويصر على إيصالنا حتى باب المطعم .**

كان المال يسبب له حساسية خاصة تمس الكبرياء ، وهو الكريم ، بل والشديد الكرم إلى آخر مليم فى بيته .

. . .

كانـت فترات الفقر الشديد ، تـزيدنا صـلابة وإقترابا من بعضنـا البغض ، لكنها كانت تصيب أمل عند تأزمها بالكآبة والحزن العميق ، فالأمر أصبح لديه مختلفاً ، لقد أصبح رجلاً متزوجاً ، يحمل مسئولية شخص آخر ، ولم يكن الأمر بالنسبة لى مشكلة على الإطلاق .

أكثـر من يـوم يمر دون أن نمتلـك مليماً واحداً فى المنـزل ، أضحك وأقـول صادقة : ـ **الطعام ليـس كل شىء ، فلـدينا الكثير من الكتـب ، والكثير من الأشعار ، والكثير من الأغانى .**

كلمات رومانتيكيـة بالتأكيد ، لكنـى ، لا أدرى لماذا كنت دائمة التعامـل مع الفقر ، بل ومع شخصية أمل عموماً بهذا التصور الرومانتيكى الخيالى .

. . .

يـرتدى أمـل مـلابسـه وينزل إلى الشـارع ليعـود لنـا بالطعـام (بعـض الساندوتشات من الفول والطعمية ، وعلبتان من سجائر الدانهيل لى وله وقطعة من الشيكولاته) لقد استدان أمل جنيهين لإحضار الطعام .

ـ لماذا قطعة الشيكولاته ؟

ـ لأنك تحبينها .

ـ لكنى لا أريدها الآن .

يضحك ساخراً .. تذكرى أن الفقر حاله إياك والسقوط فيها .

كان الفقر فى منزلنـا يحولنا إلى أثرياء ، وكان الفقر يضـاعف احترامى لهذا الشاعر الذى يمكنـه كثيراً النوم جائعاً ، بينما يستحيل عليه النـوم يوما متنازلاً أو مساوماً أو مصالحاً ، وما أكثر المتنـازلين العارضـين أنفسـهم فى أسواق البيع والشراء ، ينامون وبطونهم تمتلئ بالتخمة ، وعقولهم بالمهانة .

« سكنى القلوب »

علمنا الانتقال من شقة مفروشة إلى أخرى ، ومن فندق إلى آخر ، ألا نحب الأماكن ، بل نحب البشر .

لم يعرف أمل طوال حياته منزلاً واحداً يمتلكه ، أو بيتاً خاصاً يسكن فيه لكنه عرف كيف يقتسم غرف أصدقائه ، حتى صارت جدران غرف المدينة تحمل بعضاً من ذكرياته ، وبعضاً من ضحكاته ، وبعضاً من أشعاره ، وبعضاً من كتبه .

كان يسكن قلبي
وأسكن غرفته
نتقاسم نصف السرير
ونصف الرغيف
ونصف اللفافة
والكتب المستعارة

كل إنسان التقى به أجده يخبئ تحت جلده ، صورة فوتوغرافية لأمل عليها بصماته ، واهداؤه ، ويحمل أمل شرياناً فى قلبه ، وإحساساً خاصاً به وحده حتى أنه بعد رحيله ، أرسل لى العديد من الأصدقاء دواويناً ودفاتراً وأوراقاً شعرية بخط يد أمل ، كان كل منهم يحتفظ بها كجزء من ذكرياته مع أمل ، كما أن كثيرين أيضاً أصروا على الاحتفاظ بما لديهم من أمل لأنفسهم .

إن أجمل ما فى أمل ، هذا الوجدان العام ، أنه خاص جداً جداً .

...

ولعل مفهوم الناس لـديه يحتاج إلى الكثير من التوقف ، فهـو ملتحم شديد الإلتصاق بهم ، يحمـل همومهم ، ويدرك أدق وأصغـر تفصيلات حيـاتهم ، ما لديه هو للآخرين ، وما لدى الآخرين هو له .

أمر طبيعى للغاية أن يقتسم ما فى جيوب أصدقائه ، وأن يستدين جنيهاً من أول شخص يلتقى بـه ، وأمر أكثر طبيعة ، أن يصبح كل مـا فى جيبه لمن يلتقى بهم ، ودون انتظار سؤال .

إنه ممتلئ إحساساً بالناس ، خاصـة الفقراء منهم ، بل إن الأغنياء يصيبونه بحساسية خاصة فى التعامل .

لا يسكن الأغنياء بها
الأغنياء الذين يصوغون من عرق الأجراء
نقود زنا ـ ولآلئ تاج
ومسبحة للرياء

وهو بذات الوقت ، بعيد ، لا يسمح لأحد باقتحامه من الداخل .

هو سند، نفسى ، وجدار صلب للبشر ، يلتصـق بهمومهم ، لكنه قادر فى أى لحظة شاء ، على فصل هذا الالتصاق والابتعاد .

ولعل هذا الابتعـاد المتعمد ، وهذه المسافـة المفروضة بعقلانيـة دقيقة بينه وبين الآخرين ، لم تكـن انفصالاً قدر ما كـانت تعميقاً لهذا الالتحام الإنســانى حين تمكنه مـن الرؤيـة بوضـوح . فالناس هـم نماذجه الإنســانية ، ومـن هنا اكتسبت التجربة لـديه معنى إنسانياً حين يتخلق فيهـا الإنسان ، وحين تصبح هى المدخل للاكتشاف والمعرفة .

أيها الناس كونوا أناساً
هى النار ، وهى اللسان الذى يتكلم بالحق
إن الجروح يطهرها الكى
والسيف يصقله الكير

والخبز ينضجه الوهج
لا تدخلوا معمدانية النار
كونوا لها الحطب المشتهى
والقلوب : الحجارة

إن التجربة لديه لم تكن أبداً مدانة ، خاصة عندما يتعلم منها الإنسان ويخرج منتصراً على ذاته .. أنها التفرد الخاص المؤكد للحضور الإنسانى .

الناس تفر دائماً من السفن الغارقة

كانت هذه إحدى عباراته الشهيرة ، ولهذا رفض الغرق ، والشكوى والميلودرامات العنيفة ، والانهيار النفسى ، بل ويواجهه بحدة .

إنه يكاد لا يؤمن بالذنوب ، ولا يقربها ، شريطة أن يخرج منها الإنسان إنساناً فهو أكثر وعياً بالشقاء الإنسانى منه للخطيئة الإنسانية ، وهو حريص على التعامل مع جوهر الأشياء ، وقلوب الناس الحقيقية ، ولهذا رفض كل الأقنعة الخارجية ، والسلوكات المدعية ، والاحترامات الهشة ، بحثاً عن جوهر الإنسان الذى أمامه ، ومن هنا بدا حاداً فى تكسيره لتلك الأقنعة ـ الحماية.

ربما حطم أشياء كثيرة خارجية ، حين لم يلتزم بقواعد لعبة الاحترام المتبادل ، لكنه ، كان دائماً يسعى إلى الدخول سريعاً إلى قلب التجربة .

وقد يختلف معنى التجربة لدى الآخرين ، فتكون لحظة ضعف ، أو لحظة خجل ، أو لحظة خاصة ، لكنها كانت لدى أمل دائماً اكتشافاً ومعرفة لابد له من الوصول إليها فى نماذجه التى لم تكن لديه استرجاعاً ، ولكن إحساساً وتعايشاً ، فهو لا يستطيع أن يحس بما يحسه الآخرون إلا إذا عاش حياتهم ، ولهذا رفض نهائياً كل مطالبة بتميز الفنان عن بقية أفراد الشعب ، إنه يكتب بالدم المراق ، والقلق الكئيب ، والحزن العميق المطل فى وجه من يراه .

إن كل إنسان يراه هـو نموذجه الإنسانى ، وهو جـزء من تجربته الجمالية وقد يأخـذ التعامل معه شكل الانقضـاض ، وقد يأخذ شكل الحدة ، وقـد يأخذ شكل التعاطف ، وقد يأخذ شكل الصمت ، لكنه دائماً كان يحمل سلوكاً إنسانياً يبحث عن طبيعة القلب الذى أمامه .

فى اليوم الأول الذى رآنى فيه سألنى وهو يحدق فى وجهى بطريقة غريبة :

ـ هل تخجلين من الحبوب المنتشرة فى وجهك ؟

وخجلت بالفعل ، وارتبكت من السؤال المباغت حتى بادرنى :

ـ إنى أحب هذه الوجوه .

. . .

زارنا أحـد الأصدقاء المغاربـة ، وكان يسير على قدم واحدة ، بينما تسـاعده عصا بدلا من القدم الثانية ، كانت هى المرة الأولى التى يلتقى فيها بأمل :

ـ أهلا يا أستاذ أمل .

ـ أهـــلا يا أعرج !

إنه يكسر المسافات دائماً ، وإن بدا التكسير حاداً ، بهدف الاقتراب .

* * *

من شارع ٢٦ يوليو ، انتقلنا إلى غرفة بفندق بنفس الشارع ، ثم انتقلنا إلى شقة مفروشة أخرى بشارع قصر النيل .

كانت الشقة لا بد وأن تؤجر بشغـالة معها ، غضبت الشغالة حين علمت أن السكـان الجدد (نحـن) مصريـون ، بل زوج وزوجـة ، حين يتقلص دورهـا وتصبح بالفعل شغالة فقط ، بينما هى بالحقيقـة كانت تجسد شبكة غريبة من العلاقات المشبـوهة لخدمة السائحين العرب ، بدءا مـن تغيير العملة ، إلى جلب الفتيات ، إلى العلاقات مع المطاعم والسنترالات ومكاتب الخدمات الأخرى نظير عمولـة لها ، لتوفير كافة الخدمـات للسائح ، وبالطبع بـأسعار خرافية (كـانت تخفض لنـا إلى النصف عنـدما نعلـن أننا مصريـون) ، بل إن الشغـالة كـانت

تستأجـر شـغالـة اخرى للقيام بـأعمال المنزل لتتفـرغ هى لإدارة هـذا العالم الغريب .

وكان أمـل يجلس بالسـاعات ليستمع إلى تلـك الحكايات ، لتلـك الشبكات الغريبة دون إدانـة للبشر فيها ، وكنت لا أحب تلك الحكـايات والاستماع إليها ، وكان أمل أيضاً لا يحب لى الاستماع لها ، بـل كانت الشغالة أيضاً تتـوقف عن حكاياتها حين ترانى .

وفى شقة أخرى بشارع الانتكخـانة ـ بعد منتصف الليل ــ دق جرس الباب فإذا بفتـاة صغيرة فقيرة المظهر ، كـانت تظـن أن سـاكنـى الشقة طـلاب عرب ففوجئت بنـا ، ولتدارى الموقف ، وقفت تشرح لأمـل وهى تبكى بحرقـة حقيقية كيف اعتـدى عليها الطلاب الـذين كانوا يسكنـون قبلنا ، وكيف لم يـدفعوا لها أجرها كاملاً .

كـان أمل يسـتمع جيـداً ، وبقـدر كبير من التـوحد الإنسانى مـع الفتاة ، بينما وقفت أنظـر إليها بعـدوانية ، وأنا لا أمتلـك هذا التعـاطف الكبير الـذى يحمله أمل .

فى هـذه اللحظة كـان أمل يمارس دور الشـاعر ، عنـدما يلتقـى بنموذجـه الإنسانـى وجهاً لوجـه ، بل كدت أرى قصيـدته **(سفر ألف دال ــ الإصحاح السادس)** رؤى العين .

كان يجلس فى هذه الزاوية
عندما مرت المرأة العارية
ودعاها ، فقالت له إنها لن تطيل القعود
فهى منذ الصباح تفتش مستشفيات الجنود
عن أخيها المحاصر فى الضفة الثانية
(عادت الأرض ـ لكنه لا يعود!)
وحكت كيف تحتمل العبء طيلة غربته القاسية

وحكت كيف تلبس ـ حين يجيىء ـ ملابسها
الضافية
وأرته له صورة بين أطفاله ـ ذات عيد ـ
وبكت !!

ظل هذا المشهد ، وتلك الزيارة الليلية زمناً فى ذاكرتى . ولعله هز الكثير من أفكارى ، فأن أكون طيبة مع الطيبين لاشىء ، إنها الأخلاق العادية للقلب العادى ، والإحساس العادى للعين العادية ، لكن أن نلتمس هذا الحس الإنسانى فى قلب السقوط ، أن تعذبنا دموع امرأة محترفة ، ويمس عذابها قلوبنا ، أن نتقابل وجهاً لوجه مع البؤس والألم ، هذا هو ما يحول قلوبنا إلى شعراء .

كان هذا هو قلب أمل .

ولقد تكرر هذا النموذج فى الكثير من شعره ، ففى قصيدة (فصل من قصة حب) والتى استعار اسمها من قصة لمحمد مستجاب رآه يوماً فسبه لأنه يحاول أن ينقل عالم (كافكا) داخل قصته ، معلناً أن اسم القصة خسارة فيه وفيها . وانه يستحق قصيدة ، وبالفعل كتب أمل قصيدته تحت هذا الإسم .

* * *

فى بداية علاقته بالصديق جابر عصفور ذهب يوماً لزيارته ، فرآه غارقاً وسط مجموعة من الكتب والأوراق .

ضحك وقال له : **لن تستطيع أن تصبح ناقداً جيداً بهذه الكتب والأوراق، لا بد لك من النزول إلى الشارع ، ودخول التجربة ، كى تمتلك الرؤية .**

إن الناس دائماً هم الرؤية ...

وربما لهذا ، كان رد فعله الطبيعى إثر سماعه لأى حدث سياسى أو اجتماعى أو ثقافى ، هو النزول فوراً إلى الشارع وقبل أى شىء ، حتى أن

الصديق ابراهيم منصور كان يعلق على تصرف أمل ساخراً :

- هل تتصور أنك ستجد الحل على قارعة الطريق ؟!

لكن الناس ظلوا دائماً هم نماذجه ، وهم وعيه الحقيقى الأول .

* * *

أسفل منزل آخر بالهرم ، كان هناك (رائع طرشي) بعد أسبوع من سكننا صار الرجل صديقاً حميماً لأمل ، يشاركه قهوة الظهيرة كل يوم فى دكانه الصغير ، ويدعوه لزيارتنا .

- إننى أفهم جيداً فى السياسة يا أستاذ أمل ، فأنا قارئ جيد لجريدة الأهرام .

أضحك من عبارة الرجل ، لكن أمل ينشغل حقيقة بمناقشات الرجل البسيطة ويذهب معه فى حوارات عديدة فى أدق القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية باهتمام بالغ ، دون انفعال ودون إدعاء للبساطة .

انه مرة أخرى أمام نموذجه الإنسانى ، فالشاعر مطالب لا بأن يعشق شعبه وحسب ، وإنما يعشقه شعبه أيضاً .

دخل المنزل سباك لإصلاح بعض المواسير التالفة ، كان الرجل مؤلف أغانى ومنذ اليوم الأول صار صديقاً لأمل ، يطالعه على دفاتره ومشاريعه الفنية حتى أنه فكر يوماً فى ترك أعمال السباكة ، والتفرغ تماماً لكتابة الأغنية ، أقنعه أمل بأن الأمر لا يشكل تعارضاً ، بل على العكس ، فإنه عندما يكتب جيداً يصبح سباكاً جيداً ، إن عليه دائماً أن يحب ما يفعله بصدق وإخلاص .

. . .

قالت صاحبة المنزل اليونانية فى مصر الجديدة ، لا بد من ترك الشقة غداً ، ولم نكن قد بحثنا عن منزل آخر .. فبكيت .

حجز أمل لنا غرفة فى فندق بشارع طلعت حرب ليومين إلى أن نتمكن من العثور على شقة أخرى .

وربما كان أمل يتمنــى أن أثور أمام الانتقال المستمر من شقـة مفروشه إلى أخرى ، ومن أثاث بال إلى أثاث بال آخر .

وكنت فى هذه النقطة بـالتحديد أشعر بالتوتر الخانـق ، فأبدو عصبية المزاج دائماً ، أضيق من لا شىء ، لكنى لم أحّمل أمل تبعات هذه الانتقالات المستمرة ، بل على العكـس ، كنت دوماً ـ رغـم توترى ـــ مؤمنة بـأن هذا هو قدر الشـاعر العظيم ، وهذا هو ثمن كبريائه وكرامته ونقائه المفرط .

وقد كان عدم تمكننا من العثور على شقة ، ومنزل خاص بنا يراكم فى صدر أمل الخوف علىّ ، فقد كان دائماً يتمنى أن يوفر لى حياة استقراراً وهدوءاً .

« سيد بيتنا »

الشعر هو سيد بيتنا الوحيد .

ليست هناك طقوس معينة تلازم كتابة القصيدة اللهم إلا توافر السجائر ، وهو أمر لا يتعلق بالقصيدة أو الإبداع ، وإنما يتعلق بأمل ، الذى ظلت السجائر صديقته الوحيدة حتى الموت ..

كانت رئتاه تتفتت بالخلايا السرطانية والسيجارة فى يده ، قال له الطبيب :

ـ كف عن السجائر .

ـ **قال** : إن الكف عن السجائر لن يعوق السرطان الهادر فى صدرى ، دعها فهى متعتى الأخيرة .

يكتب أمل بأى نوع من الأقلام ، وعلى أى نوع من الورق ، جالساً على مقعد أو ممدداً فوق سرير ، إنها اللحظة التى تفرض نفسها عليه فى أي مكان شاءت ، وفى أى توقيت تختار .

كان دائم الهروب من القصيدة ، أو لعله دائم التوتر والهروب بها ، مرة بالنزول إلى الشارع ، ومرة بالشجار ، ومرة بالاستماع إلى أغنية أو قراءة كتاب (يبدو هروباً ظاهرياً ، لكنه نوع من الانشغال بالقصيدة داخل أشياء أخرى) .

ان القصيدة دائماً هى لحظات مستمرة من التوتر ، بل هى كما كان يحلو له أن يردد البديل عن الإنتحار ، إن رحلته اليومية منذ الصباح حتى الصباح التالي، منذ استيقاظه ، ثم نزوله إلى الشارع واختلاطه بالناس والأحداث العادة، كانت أشبه برحلة صيد وجدانية ، رحلة صيد لقصيدة ، موضوعها رموزها ، لغتها ، مناخها العام ، حتى يمكن القول إن الناس جميعاً كانوا مشاريع قصائد لدى أمل.

أحفظ رأسى فى الخزائن الحديدية
وعندما أبدأ رحلتى النهارية
أحمل فى مكانها .. مذياعاً
(أنشر حولى البيانات الحماسية .. والصداعا)
وبعد أن أعود فى ختام جولتى المسائية
أحمل فى مكان رأسى الحقيقة
قنينة الخمر الزجاجية .

كانت القصيدة تجربة مستمرة ، حتى تفرض عليه حصارها فى لحظة معينة دون أى محاولة منه لرشوتها أو الإمساك بها .

وقد كانت لحظة كتابة القصيدة هى اللحظة التى لا يسمح أمل لأحد بدخولها سواه حتى تكتمل ، إن محاولة الدخول إلى ذهنه أو حتى السؤال عن فكرة القصيدة الجديدة كانت دائماً محاولة غير مسموح بها .

ـ أمل ، هل هى قصيدة جديدة ؟

يبتسم ، ثم يغنى ، فأفهم . أنه لا يريد الاجابة، بل ولا يريد السؤال .

ربما وضع بعض الأحرف ، أو الكلمات التى يستحيل على غيره قراءتها فوق علبة من الكبريت أو علبة من السجائر بجواره ، أو فوق ورقة صغيرة ، أو هامش لجريدة ، ولم أكن أستطيع فك هذه الطلاسم ، واللوغاريتمات والتى كانت تأخذ أحياناً شكل الرموز التى ستكون فيما بعد قصيدة .

أسميته (شوبنهور) فهو الفيلسوف الوحيد الذى كان يمارس هذا الحصار النفسى ، بكتابة حساباته المالية باللاتينية حتى لا يعرفها من حوله .

ولعل المرة الوحيدة التى فتح فيها أمل ذهنه وكشف لى عن مشروع قصيدة كان يفكر فيها قبل أن تكتمل ، كانت قصيدة (الأحجار) وهى قصيدة لم تكتب نهائياً ، ولعله رحل وهو يكتبها ، تاركاً مسودة مشوشة الأحرف .

تكلمى أيتها الأحجار .

إدلى بما فى قلبك الصامت من أسرار
وحـــدك أنت الأزل
لا يسدل النسيان فوقها ستائره
ولا يصدها افتراق الليل والنهار

كانت فكرة القصيدة ـ كما ذكر لى ـ أشبه بحوارية متتالية بين أكباش معبد الكرنك ، إنها الأحجار حين تصبح حضارة ، وهى عودة أخرى إلى الجنوب بعد مركب رع فى قصيدة (السرير) .. وبعد قصيدة (الجنوبي) .

وهــى عودة لا تبحـث عن استخـدامات للتراث الفـرعونـى ، ولكنها عـودة وجدانية إلى أرض الصعيد ، وجنوب مصر لتكون النهاية .

لم أحـاول يومـاً سؤالـه فى القصيدة قبـل اكتمالها ، أو حتى الإلحاح عليـه بالكتابـة ـ رغم كسله ـــ إن أقصى ما أفعله فى هـذه المنطقة عندما يســألنى عن أمنياتى ، فأجيب : قصيدة جديدة .

ولم تكن هــذه أمنيتى وحــدى ، إنها أمنية وحلـم وطموح أمـل الوحيـد ، إن القصيدة هى الغد والمستقبل الذى نحلم بتحقيقه .

كنت شديدة الحرص على عدم الدخـول نهائياً فى منطقة الإبداع ، تلك المنطقة الخاصة بأمل وحده ، بل كنت أحياناً أشعر بالخوف والإرتباك ، فما الذى أفعله وفى بيتنا قصيـدة توشك على المجىء ، فـأنام خوفـاً من أن يأخذ صمتـى شكل المراقبة ، أو الإنتظار العصبى للقصيدة .

يوقظنى أمل : هل تحبين أن تستمعى إلى قصيدة ؟

فأعانقه هاتفة : **أيها الشـــعر**

يا أيها الفرح المختلس

لم تكن لحظة ميلاد القصيدة هى الصـورة النهائية ، أو الإبداع الأخير ولكن كانـت إعادة النظر فى القصيدة تشكـل عند أمل أهمية كبرى ، حيـث تخرج من ثوب لحظة الميلاد العفوية بشكلها المثـالى إلى درجة كبيرة من الوعى ، يشكل به ملامح القصيدة بصورة نهائية .

اهتم اهتمامـاً خاصاً بـالبناء الهنـدسى والمعمارى للقصيدة ، ولهذا كـانت لحظـة المونتاج الشعـرى ، أو القراءة الثـانية لا تقـل أهمية عـن لحظة انفجـار القصيدة فى كتـابتها الأولى ، ولم يكن ذلك المونتـاج يعنى مسودة مكتوبـة ، بل أحياناً كان يتبلور فى صورة ذهنية يصعب تحديد طبيعتها .

ولم تكن لأمل لحظة تجل مع الكلمات ، يؤمن بثبـات تجليها ، فالشاعر الذى يتجلى مع كلماتـه ، يترك نفسه مـع موسـيقى اللغة ، بينما اللغـة إناء لـلأفكار وأداة للتوصـيل ، دون سحر خـاص بها كمـفرده ، ولكـن بما تكتسبه مـن السياق.

وقد عكس أمل تعلقه الشديد باللغة العربية من خلال مشروع ظل يفكر فيه كثيراً ، بل واستعان فى دراسته بدكتور فى اللغة العبرية ، وآخر فى اللغة الفارسية، وثالث فى اللغة الحبشية ، وهو إرجاع المفردة العربية إلى أصلها الثنائى .

إن (ثنائيـة المفردة) كانت فى رأيـه ثورة حقيقية ، يمكن أن تتحقـق فى اللغة حيث تتقارب عوائل المفردات .

وقد وضـع جداول عديدة لتلك العوائل من المفردات ، إلا أنه ترك المشروع بعد ذلك جانبـاً ، ولم يفكر فيه على الأقل بصورة ظـاهرية تسمح لى بكتـابة إلى أين انتهى أو كيف توقف .

...

كانت اعادة قـراءة القصيدة مجهوداً نقدياً ، بل كانت أكثـر أنواع النقد قيمة وحيوية لأمـل ، ولم يكن يزعجه أن يشاركـه أحد قلقه فى وضـع كلمـة بالقصيدة بعد اكتمالها أو تغير كلمة محل أخـرى ، بل إن بعض المناقشات الجيـدة كانت تدفعه أحياناً لتعديلات داخل القصيدة .

كانت لوحات قصيدة (الجنوبي) فى صورتها الأخيرة مرتبة بالأرقام (١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ) .

قال جابر عصفور : **الأرقام هكذا ليست جميلة .**

أمسك أمل على الفور بالقلم وشطب الأرقام ، واستبدلها بترتيب آخر هو الترتيب النهائى للقصيدة (**صورة ـ وجه ـ وجه ـ وجه ـ مرآه**) .

والشىء الغريب حقاً ، بل والمحير ، أن هذا التعديل لم يستغرق ثوانى دون تفكير طويل ، والأغرب انه جاء فى تلقائيته العفوية ، ترتيباً شديد الدقة والإحكام.

. . .

ذهبنا يوماً إلى د/ لويس عوض فى مكتبه بجريدة الأهرام ، أطلعه أمل على قصيدته الجديدة (**خطاب غير تاريخى على قبر صلاح الدين**) .

كان مكتب لويس عوض حافلاً بالعديد من الكتاب والفنانين والصحفيين ، فأمسك الدكتور بالقصيدة وراح يقرؤها بصوت مرتفع .

هتف أحد الحاضرين بعد نهايتها : **آمين** .

قام أمل وأمسك بالقلم على الفور ، وأضاف على مكتب لويس عوض فى نهاية القصيدة :

فاتحـــــــه :

آمـــــــين .

. . .

قرأ الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى قصيدة (الطيور) .. قال لأمل أن سطورها الأخيرة تحصيل حاصل للقصيدة ، يمكن الاستغناء عنها .

الجنـــــاح حيـــــاة

والجنـــــاح ردى

والجنـــــاح .. نجـــاه
والجنـــــاح .. ســدى !

رأى أمل انها ضرورية للقصيدة ، ورفض تعديلها

...

ولقد كانت قصيـدة (الخيول) واحدة من أصعب القصائد التـى عذبت أمل كثيراً فى بنائها الهندســى ، أو فى إعادة قراءاتها أو كتابتها مرة أخـرى ، بل هى قصيدة المسودات العديدة ، حتى أن أمـل شطب من إحدى مسوداتها الصفحة كاملة ، واحتفظ فيها بسطر واحد فقط .

كتبهـا فى ديسمبر ١٩٨١ ، ثم انتهـى منها تمامـاً فى ينايـر ١٩٨٣ ، عندمـا نشرت للمرة الأولى فى مجلـة ابداع الصـادرة عن الهيئـة العامة للكتاب فى عـددها الأول .

ولعل المرض كان سببا فى ذلك التأخير الطويل للقصيدة ، وربما كان السبب أيضاً فى مسوداتها الكثيرة المرهقة (تـذكرى دائماً أننى أعمل بربـع عقل) ، كان يردد أمل لى ذلك فى لحظات الإرهاق الشديد .

ولعل المرض كـان سبباً فى الـدخول إلى منطقـة وجدانيـة أخرى ، وتجربـة جمالية جديدة غير التجربة الجمالية المشكلة فى قصيدته (الطيور ـ الخيول) .

تلـك التجربـة التــى أسماها (إعــادة اكتشــاف الجمال فى نفس الإنســان ، واستعادة الإنسان المصرى ، ليحيا من جديد) .

ففى ظل ظروف السبعينيات ، والتى صـار الإنسان فيها متهماً ، لأنه إذا دعا الشـاعـر الناس إلى الثـورة والتغيير ، أتهم أنـه يـريـد أن يعيدهـم إلى الفقـر والاشتراكية ، وإذا دعا الناس إلى رفض السلام المصطنع ، فذلك يعنى دعوة إلى التضحية مـن أجل الحرب والموت بـل وإذا دعا الشـاعر النـاس إلى أن تصبح حياتهم أكثر جمالاً ويسراً ، فذلك يعنى الهجرة وليس الإقامة فى الوطن .

من أجل هذا حدد أمل دوره وملامح تجربته الجديدة فى إعادة اكتشاف الجمال ، وتوجيه الناس إليه ، حيث رأى أن الشاعر مطالب بدورين فى ذلك الوقت الراهن .

دور فنى بأن يكون شاعراً ، ودور وطنى بأن يوظف فنه لخدمة القضية الوطنية ، وخدمة التقدم ، لا عن طريق الشعارات السياسية والصراخ والصياح وإنما عن طريق اكتشاف وكشف تراث هذه الأمة ، وإيقاظ إحساسها بالانتماء وتعميق أواصر الوحدة بين أقطارها .

على الشاعر أن يلعب دور الشاعر والمفكر أيضاً ، وأن يستنهض كل الذين يرون مهمة الشاعر مهمة مثالية هى كتابة الشعر فقط ، فالشاعر لكى يكتب ولكى يكون شاعراً حراً ، يجب أن يكتب انعكاسات وجدانه ، ولا يمكن لإنسان أن يعيش فى ظل ظروف التخلف التى نعيش فيها ، وظروف التداخل الثقافى التى لدينا أن يكتفى بمجرد الإحساس بالجمال المطلق ، فلابد أن يعيد اكتشاف الجمال الموجود فى الواقع الذى يراه ، والذى يعيشه .

...

ومثلما كانت قصيدة (الخيول) ـ قصيدة معذبة ، كان ديوان (أقوال جديدة عن حرب البسوس) أكثر تعذيباً ، ولهذا رحل أمل دون استكماله بعد أن كتب شهادتين أو قصيدتين فقط هما (مقتل كليب الوصايا العشر ــ وأقوال اليمامة ومراثيها) بينما بقيت الشهادات (القصائد) الأخرى التى أراد أمل كتابتها (أقوال المهلهل، أقوال الجليلة ، أقوال جساس) تتبدل وتتغير يوماً بعد آخر ، رافضة الوصول إلى حل يقنع أمل باكتمالها الأخير على الرغم من اكتمال أجزاء كثيرة منها فى ذاكرته .

يقرأ كل ما كتب عن سيرة الزير سالم ، وكل الدراسات والإبداعات المختلفة التى تناولتها ، يقرأ كل السير الشعبية العربية ، وكل الأساطير وأيام العرب

القديمة ، يقرأ كتب الأنثربولوجيا ، ويظل يبحث ويواصل البحث سنوات عديدة كجزء من الخبرة الجمالية للقصيدة ، ولا تستقر الرؤية .

* * *

كان أهم شاعر فى نظره النار .

عندما كان صغيراً ، كان يجلس أمام النار ويقرأ فى ألسنة اللهب ، ودرجات الاحتراق فيها أكثر من معنى من المعانى المطلقة ، ولعله أحب بذلك الشعر والشعراء النار .

فى كل يوم كان لنا موعد مع ديوان شعرى أو قصيدة ، سواء لشعراء مشهورين ، أو غير معروفين ، قدماء أو محدثين ، شعراء فصحى أو شعراء عامية .

كانت صورة حجازى وهو يلقى بقصيدته مزهواً بها ، تكاد قدماه تقفزان من فوق المسرح منطلقة مع الكلمات فى حب شديد ، وكبرياء بالشعر ، لا تفارق ذهن أمل ، إن حجازى ليس فقط أول من أشار إلى أمل بالتخلى عن قصائد المناسبات والمظاهر الاجتماعية ، التى كان يمارس أمل انتقادها بالقصيدة (الزار ـ الموالد ـ الدراويش) إلى قضايا الشعر الحديث ، لكنه أيضاً ظل دائماً الفارس ، والمغنى ، والمخلص للشعر والقصيدة ، وبرغم ذلك كان أمل دائم الترديد ، ودائم الكتابة على كل ورقة بيضاء أمامه قصيدة حجازى :

قد كنت فارساً شجاعاً ذات يوم
لكنى أكلت من طعام أعدائى فصرت مقعداً
وكنت شاعراً حكيماً ذات يوم
حتى إذا استطعت أن أحمل اللفظين معنى واحداً
فقدت حكمتى وضاع الشعر منى بدداً

كان حجازى هو الشاعر الوحيد ، بل هو الإنسان الوحيد الذى سأله أمل يوماً فى تمن :

ـ لماذا لم تكتب عنى ؟

وكتب حجازى كثيراً عن أمل ، لكن بعد وفاته !!

. . .

كانت أشعار الشعراء تسكن صوت أمل دائماً ، فى المنزل ، فى الشارع فى أمسيات وسهرات الأصدقاء ، ولكنه لم يكن يحب أبداً قراءة أشعاره هو ، حتى لنفسه ، فلم يكن يحب عادة أن يلعب دور المطرب فى سهرات الأصدقاء ، فيرفض إلقاء قصيدة له ، حتى ولو طلب منه أحد ذلك بالتحديد ، بل وإذا فرض وأنشد قصيدة من شعره ، فلابد أن ينهيها بتعليق ساخر ، مبعداً الحوار بذلك عن القصيدة والشعر .

. . .

كان الغناء أيضاً يسكن بيتنا .

أمل برغم صوته الأجش ، كان قادراً على الأداء ، والإحساس بالجملة الموسيقية ، والغوص فى أعماق الكلمة ، فيجبرنا على الاستماع مشدودين إلى مناطق الجمال .

ـ أننى لا أسمعك تغنين ؟

ـ إن صوتى ليس جميلاً !

ـ عندما تغنين يصبح صوتك جميلاً !

من بعدها صرت أغنى معه .

ينطلق أمل بالغناء ، فيغلق البعض آذانهم ، ويضحك آخرون، بينما هو مستمر فى أداء الأغنية كاملة ، حتى يتحول الجالسون إلى الغناء معه ، بل و إلى الصمت والإستماع إعجاباً بالأغنية التى يتغنى بها أمل .

لقد شكلت الأغنية جزءاً هاماً فى وجدان الشاعر ، حتى وصلت إلى دمه ، فكان موعد العلاج ـ فيما بعد ـ موعداً دائماً مع الأغنية .

دعى أمل للمشاركة فى الذكرى الرابعة لرحيل الشاعر محمود حسن

إسماعيل (١٩٨٠) ، وهو الذى حمل له إعجاباً خاصاً ، وتأثراً كبيراً به كشاعر، حتى أنه فى طفولتـه كان حريصاً على تجميع صوره المنشـورة وقتذاك فى مجلة الإذاعة المصرية ، والإحتفاظ بها ، كما أن أول شىء حرص عليه أمل عند مجيئه الأول إلى القاهـرة هو الذهاب إلى منطقـة أرض الجزيرة لمشاهدة تلـك البقعة ، وهذه الأرض ، وذلـك النخيل الـذى كتب عنـه محمود حســـن إسماعــيل فى قصــائده .

جاء يـوم الذكـرى ولم يكتب أمـل بعد قصيدة جـديدة ـــ كما كان يـريد ـ استيقظ مبكراً على غير العادة ، وارتدى ملابسه ، وقرر النزول إلى الشارع .

فوجئت بالقصيدة فى المهرجان ، وأنا شديدة الفرح ، فقد جاءت بعد أكثر من عام ونصف من الصمـت الشعرى ، خلت فيها ـ مثل بعض الأصـدقاء ـ أن هذا الصمت مرتبط بالزواج .

لكن للصمت دورات فى تاريخ أمل .

مرة امتد ما يقـرب من ٤ سنوات متواصلة فى بداية الستينـات ، أثناء إقامته بالاسكنـدرية ، ولعلـه كان صمتاً متعمـداً ، حيث حـرص أمل فيـه على تكثيف قراءته ، ثم خـرج بعدها بديوان (البكاء بين يدى زرقـاء اليمامة) الذى صدرت طبعته الأولى ١٩٦٩ عن دار الآداب ، لتعلن ميلاد شاعر حقيقى .

امتد الصمت الشعرى سنة (١٩٧٩ ـ ١٩٨٠) ثم كتب أيدوم النهر ، ثم دام الصمت شهوراً قليلة ، وكتب قصيدة محمود حسن إسماعيل .

صمت آخـر بعدهـا ، اقترب من ثمانيـة أشهر (١٩٨١) ثـم كانـت قصيدة (الطيور) ثم (الخيول) بعدها بشهرين .

كان كـل صمت يتبعه بالضرورة تجربـة جمالية جديدة ، ورؤيـة مختلفة ، ولهذا لم يكـن أمل يخاف الصمـت ، كان الصمت جزءاً لا ينفصل مـن التجربة الجمالية .

...

رفضت جريدة الأهرام (بعد أن أخذ الشاعر فاروق جويدة القصيدة من أمل لنشرها) نشر القصيدة رغم محاولات فاروق جويدة .

أذيعت القصيدة ضمن إذاعة المهرجان فى برنامج الأمسية الثقافية الذى يقدمه الشاعر فاروق شوشه بالتليفزيون ، وكانت هى المرة الأولى التى يقدم فيها شعر أمل بالتليفزيون المصرى (قدمه فاروق شوشه بعد ذلك مرتين فى نفس البرنامج) .

عند إذاعة القصيدة اقتطعوا منها أجزاء اعتبرتها الرقابة التليفزيونية ضد السياسة العامة .

للخفافيش أسماؤها التى تتسمى بها

فلمن تتسمى إذا انتسب النور !

والنور لا ينتمى الآن للشمس

فالشمس هالاتها تتحلق فوق العقالات

هل طلع البدر من يثرب أم من الأحمدى

وبانت سعاد

تراها تبين من البردة النبوية

أم من قلنسوة الكاهنين الخزر ؟

وبرغم فرح أمل بظهوره الأول فى التليفزيون المصرى ، إلا أن كاميرات التليفزيون وأقلام الصحفيين ، والشهرة الإعلامية عموماً لم تكن مقصداً أو هدفاً يحلم بها أمل ، أو يسعى إليها ، فالمشهورة الوحيدة هى القصيدة ، والهدف الوحيد هو كتابة الشعر .

لم يحترف الشهرة ، والإدعاءات الكاذبة ، والأخبار التى يمليها الكثيرون إلى الصحف والمجلات ، بل وقف ضد أصدقاءه الشعراء الذين كانوا يسعون وراء

بريق الشهرة أكثر من سعيهم وراء نار المعرفة .

إن كل نجومية لا تمر من خلال القصيدة هى نجومية هزيلة ، تأخذ من الشاعر أكثر مما تعطى له ، ولهذا لم يكن موقف أجهزة الإعلام يغضبه ، أو حتى يثير لديه أدنى مشاعر الضيق قدر ما كان يزيده إحتراماً لذاته ، وتعالياً على الآخرين .

عندما كتب قصيدته الشهيرة (الكعكة الحجرية) تحولت فور كتابتها ١٩٧٢ ، إلى منفستو للحركة الطلابية فى ذلك الوقت ، وأدى نشرها الأول فى مجلة سنابل التى كان يصدرها الشاعر عفيفى مطر فى محافظة كفر الشيخ إلى إغلاق المجلة .

أيها الواقفون على حافة المذبحة
أشهروا الأسلحة
سقط الموت ، وانفرط القلب كالمسبحة
والدم انساب فوق الوشاح
المنازل أضرحة
والزنازن أضرحة
والمدى أضرحة
فارفعوا الأسلحة
واتبعونى
أنا ندم الغد والبارحة
رايتى عظمتان وجمجمة
وشعارى : الصباح

راح مكتب وزير الإعلام يسأل رئيس الإذاعة ، **من هو أمل دنقل ؟**

وسأل رئيس الإذاعة ، مدير البرنامج الثانى فى ذلك الوقت فؤاد كامل الذى

قدم فى برامج إذاعته الكثير من أشعار أمل **(من هو أمل دنقل؟)** ، فرد عليه إنه شاعر ممتاز ونحن نذيع أشعاره .

رد رئيس الإذاعة : **لا تردد ذلك ثانية !!**

. . .

لقد أصبح أمل أهم شاعر مصرى ، بـل واحداً من أكثر الشعراء العرب تميزاً من خلال صوتـه الشعرى وحده ، وأصبح رغم كل التعتيمات الإعـلامية حوله هو الأعلى صوتاً ، والأكثر تميزاً ، وحضوراً .

« جمهورية الصعيد »

زرت مع أمل قريته (القلعة) فى جنوب الصعيد .

كان مدخل القريـة فى الصباح الباكر من نافذة القطار مـدخلاً بديعاً ، أشار أمل إلى شواهـد القبور على جانبى الطريق ، وبـالفعل كانت جزءاً مـن التكوين الجمالى فى تلك البيئة الصعيدية التى أراها للمرة الأولى .

توقـف القطار فى محطـة (قفط) أحـد مراكـز محافظة قنـا ، وهى الامتـداد الطبيعى لقرية القلعة .

استأجر أمل عـربة (حنطور) لنصل إلى المنزل ، وقام بإنـزال كبوت العربة بصورة أكثر إنحناء ، حتى لا يرانا المارون ويتطلعوا فى وجهى .

أندهش متعجبة ، فلماذا هذا المسلك الصعيدى جداً ؟

يرد أمل فى صرامة : **نحن هنـا فى أقصى الجنوب ، والمرأة لـديهم ليست سوى (حريم) ، فلابد من تقبل منطقهم .**

ضـحكت بشدة فى داخلى من رسم صورتى داخل إطار الحريم .

دعانا عمدة القرية وهو (زوج عمة أمل) ، فى اليوم التالى لوصولنا إلى الغداء، قال أمل : **لابد أن تذهبى مرتدية «الملس» الأسود كأى إمرأة صعيدية .**

تعجبـت مرة أخـرى من هـذا الموقف الصعيـدى جداً ، لشـاعر خـرج على الشرعية والقوانين وكاسر لكل التقاليد والعرف العام .

ضـحكت من مجرد الفكرة وقلت : **مستحيل .**

ذهبنا إلى منـزل العمدة وأنا أرتدى بنطلـوناً وبلوزة طويلـة ، أصر أمل على ذهابنا فى سيارة ، رغم أن منزل العمدة فى نفـس الشارع ، لا يبعد عن منزل أمل

بأكثر من ١٠٠ متر ، بل وأصر أيضاً على العودة بمفرده فور تناول الغداء متعللاً برغبته فى النوم ، على أن يعود فى المساء إلىّ لأخذى (وكان يعنى ذلك رغبته فى عودتى بالمساء حتى لا يرانى أحد) .

بعد ساعة من ذهابه عدت مع ابن عمته إلى المنزل فى وضح النهار ، بل قام هو وغفراء القرية بفتح (دوار) البلدة ، لى لمشاهدته .

لم يستهجن أحد ملابسى على الإطلاق ، فقد كان الصعيد فى خيالاتنا مختلفاً عن واقعه الجديد الذى غزاه التليفزيون الملون والفيديو ، وتعليم الفتيات والأسفار الدائمة ، فبدا أكثر تطوراً من خيالاتنا عنه .

كما أن والدة أمل رفضت تحفظاته الكثيرة ، مؤكدة له أن الجميع يعلم أن عبلة قاهرية فلن يطالبها أحد بعرفنا القائم .

أما أمل فقد كان حريصاً منذ اللحظة الأولى لوصوله على ارتداء الجلباب الصعيدى ذى الأكمام الفضفاضة ، ولبس اللاسة أو العمامة فوق رأسه ، والإمساك بالعصا ـ عند السير.

كان يفعل ذلك وهو سعيد ، كمن عاد إلى حقيقته الأولى مستريحاً هادئ البال ، منسجماً مع ذاته .

كانت ملابسه وكلماته وفخره الحاد بروحه الصعيدية ، تجعلنى استعيد مزاحه الدائم كلما رأى صعيدياً فى القاهرة :

ـ لا بد لنا من الاستقلال عن الشمال ، وتكوين (جمهورية الصعايدة) .

يبدو أن الأمر ليس مزاحاً ، أن الصعيد هو عنده أول الكون ومنتهاه .

...

كان كمن يحاول استعادة إطار صورة قديمة كسره عن عمد ، لكن الشيء الغريب حقاً والذى أدهشنى ، هو سرعته فى كسر الإطار بنفس اللحظة ، فرغم كل التحفظات الصعيدية التى ملأته فى البداية بخصوصى ، فلم يستهجن لحظة إشعالى السجائر أمام كل رجال الصعيد ، وأقربائه كباراً وصغاراً ، بل ويقوم

بـإشعالها لى ، وهـو الشـىء الذى لا يستطيـع أن يفعله بعـض الـرجال أمـام أقربائهم الأكبر سناً ، داخل قانون الصعيد .

. . .

جاءت القـرية جميعهـا لتحياتنـا ، وتحول المنزل بـل وتحولت القـرية إلى مهرجان لاستقبال أمل وعروسه ، وصار ذلك حدثاً يقدمون من أجله الهدايا .

كانت الزيارات لا تنتهى ، من الخامسة مساء وحتى الحادية عشرة أو الثانية عشرة وسط مجموعة من النساء داخل غرفة واحدة .

ـ أمل إنـهم يتفرجون على .

ـ أبداً إنـهم فرحون بك

وكنت أضيق أحيانـاً بالصمت الذى أمارسه ويمارسونه معـى ، فيأتى أمل مقتحماً غرفـة الحريم ، ويجلس معنا ، فتتحـول الغرفة إلى ضحـك ، وضجيج وحيوية ، ويتواصل الجميع ، ويعود العالم كله طبيعياً به .

. . .

كان أمـل سعيداً بـوجودى وسـط أهله وأقـاربه ، ربما أكثـر من سعـادته بوجوده هو ، ربما هى المرة الأولى التى يشعر بها بفرحة وجود عائلة (زوجة وأم وأخوات) ... عائلة سعيدة هى حديث القرية كلها .

إنه الفرح الذى لم يمر ببابه يوماً ، حتـى إنه تمنى لو امتد به الزمن هناك أو توقف عند هذه اللحظات وفى هذا المكان .

يطوف بى غرف المنزل ، يفتح لى صناديـق كتبه القديمة ، وصور وذكريات الطفولة ، يقرأ لى أشعار والده العمودية القديمة ، يحاول دائماً كسر الغربة بينى وبين والدته .

إن أمه هى أقوى العلاقات فى حياتـه «رغم الابتعاد المكانى الذى فصله دائماً عن رؤيتها» .. فمنذ أن تـوفى والده وهو طفل فى العاشرة ، كانـت هى دائما القوة والصلابة والحمايـة ، بل هى الحب والحنان والاطمئنان الـدائم ، فهى المدافعة

عنـه ظالماً أو مظلـوماً ، لقـد ظلت تلعـب دور الحامى ، وتمثـل العفو والصـدر الحنون المدافع عن أخطائه وتبريرها، كانـت الوحيدة التى عاملته كطفل ، حينما فرض عليه الجميع صورة الرجل الصغير ، بـل إن صلابته من صلابتها (ربما أحمس ربته امرأة) ، فعندما كـانت تأتى لزيارته فترة الإقامـة بالمستشفى كان يسألها :

ـ هل أنت حزينة على ما أصاب ابنك ؟

تحاول اخفاء دموعها .. لكنها تبكى .

يكرر السؤال ، فتجيبه بقوة : **الله لا يجيب حزن .**

كان الجميع يعاملنى كضيفة ، فرحين بى بأصالة وفرحة صعيدية صميمة، بل كنت أشعر أن أمـل أيضاً يعاملنى أكثر كضيفة ، حـريص دائماً على راحتى وكسر كل لحظات الملل التى قد تمر بى ، ولعلى أنا التى كنت فى قرارة ذاتى ضيفة حتى انه وضع لى برنامجاً سياحياً لزيارة الأقصر ، ومعبد دندره فى قنا.

ـ أمل يبدو أنى سائحة ؟

ـ يبدو ؟ بالتاكيد أنت سائحة .

لم يكن الصعيد بالنسبة لى شيئاً أعرفه على المستوى الواقعى أو الجغرافى أو حتى الإنسانى معرفة جيدة ، لكنه بذات الوقت كان أكثر من حدود المعرفة كان فى وجدانى التصاقاً ، فقد كان يعنى لدى دائماً : أمل دنقل .

« جيل الشعارات وجيل الهزائم »

فى صيف ١٩٨١ (١٥ أغسطس) دعـانا الشاعر أحمد عبـد المعطى حجازى فى زيارتـه الصيفية للقاهرة . إلى عيـد ميلاد ابنته (ذكرت لى فيما بعـد السيدة زوجته سهير عبد الفتاح أنها ترددت أمام دعوة أمل بالتحديد تخوفاً مما تعرفه عن حدته فى المناقشة خاصة ، وأن المدعـو معنا هو الشاعر صلاح عبد الصبور وزوجته وابنتيه) .

ولم تكـن سهير تعرف أمـل جيـداً حتى تـدرك أنـه لا يمارس حـدته أمـام الحقيقيين من البشر ، وأنها فى كثير من الأحيـان تبدو قناعاً صلبـاً يخفى وراءه قلبه المرهف .

فى هذه الليلـة كان أمـل فى غايـة الرقة والعـذوبة ، بـل وشديـد الفرح بهذه السهرة التى تضمه مع شاعرين كبيرين (صلاح عبد الصبور ـ حجازي) .

سأل أمـل صلاح عبد الصبـور عما ينشر فى الصحف حول إعـداده لأمسية شعرية عـن ابن الفارض فنفى ذلـك قائلا إنها مجرد أخبار صحفية .. ثـم قاد الحديـث حول الأمسيـات الشعريـة التى تقـدم إلى استفسار آخـر حول تلـك المساجلات بين صـلاح والموسيقار محمد عبد الوهاب الـذى أراد أن يغنى لحناً لإحدى قصائده .

فـاختصر صلاح عبـدالصبور الكـلام قـائلاً إن هذه الأخبـار هى ضريبـة الشهرة الإجتماعيـة التى هبطت عليـه فى السنوات الأخيرة ، لأنه صـار مسئولاً ثقافياً ، ورئيس الهيئـة العامة للكتاب ، وهكذا تحول من شـاعر كبير إلى شاعر نجم .

سأله أمل إن كان يضيق داخلياً بمثل هـذه الضريبة فأجابه : طبعاً لكن على من تقرأ مزاميرك (ولم يقل يا داوود) .

طلـب صلاح عبد الصبـور من أمـل أن يسمعـه قصـيدته الشـهيرة (لا تصالح) رفض أمل أن ينشد القصيدة معتذراً بأنه في حضرة شاعرين مثلهما لا يستطيع نفسياً إلقـاء شعره ثم راح ينشد قصيدة صلاح عبد الصبور (أحلام الفارس القديم) .

دارت المنـاقشة دورتها بين الحاضريـن ومنهم (جـابر عصفـور ـ بهجـت عثمان الـرسام في دار الهلال ، والـذي كـان صلاح بنفسـه هـو الذي دعـاه إلى السهرة) حتى فوجئنا بصوت بهجت عثمان يعلو في لحظة سكر واضحة .. (أنت بعت .. وبعت بمليم يا صلاح !)

ثار صـلاح وهب واقفـاً معلناً . ما الذي حصل عليه ليتهم بـالخيانة والبيع ؟ ثم ما الذي باعه بالتحديد ؟

وثارت معه السيدة زوجتـه (سميحة غالب) معلنة ترددهـم في حضور مثل هذه السهرة وما توقعته من الجلوس مع السوقة !!

طرد حجازي بهجت من منزلـه ، وحاول الجميع تهدئة صلاح عبدالصبور الذي شعر بالتعب والإجهاد .

(خاصة وأنـه طوال اليوم كان خـارج المنزل في عمل مستمر ، ثـم صعد إلى منزل حجازي بالطابق الخامس دون مصعد) .

وقرر النزول لشمِّ بعض الهواء وتهدئة أعصابـه قليلاً واشتد عليه التعب في الطريق ، فذهـب إلى مستشفى هيلوبوليس المجاورة لمنزل حجـازي حيث كانت الوفاة على الفور .

...

بكى أمل صلاح عبدالصبور كأنه فقـد أباه ، لكنه لم يستطع أن يكتب حرفاً واحداً خلال مشاركـات الإحتفال بالذكرى ، ذاكراً فيما بعد ـ أن مـوته كان هو

رصاصة الرحمة أو لعله هو حياته التي كشفت في لحظة عن جوهرها الحقيقي.. فرغم مأساوية أحداث تلك الليلة الغريبة شكّل موت صلاح عبد الصبور ـ نوعاً من الانتصــار للشعر وللحقيقة داخـل نفسية شــاعر وصلت في شفـافيتها إلى درجة عالية من الصوفية ، وكأنه صار بذلك حلاج الكلمة ، وحلاج الموت .

...

استغل بعض الكتاب السهرة للهجوم على اليسار ومحاولة حصار المدعوين في تلك الليلة وإتهامهم بقتل صلاح عبد الصبور .. بل وصل الأمر إلى حد سؤال السادات لحجازي عن مقتل صلاح عبد الصبور .. وكان ذلك استغلالاً رخيصاً للرجل وللموقف وللشعر والشعراء .

بدأ أمـل قصيدة إلى صلاح عبـد الصبور لكنه لم يستطـع استكمالها وظلت كما هي سطراً واحداً ..

تـرى هــل نقلـب في سلـة الفــاكهـة

لنـــرى كيـــف دب إليهـــا العطـــن ؟

...

كتب بعد ذلـك قصيدة الطيور (اكتوبر ١٩٨١) ذاكـراً أنها مهداة إلى صلاح عبد الصبور ثم عاد بعد ذلك ونحّى هـذا الإهداء جانباً .. وترك القصيدة للعديد من التفسيرات

والطيور التي أقعدتها مخالطة الناس

سرت طمأنينة العيش فوق مناشرها

فانتخــــت

وبأعينها فارتخت

وارتضت أن تقاقئ حول الطعام المتاح

ما الذي يتبقى لها .. غير سكينة الذبح

غير انتظار النهاية

إن اليد الآدمية .. واهبة القمح

تعرف كيف تسن السلاح .

رأى د/ جابر عصفور أن القصيدة تعبر عن أحداث ٦ سبتمبر (١٩٨١) الشهيرة والتي انتهت بقيام السادات باعتقال أكثر من ١٥٠٠ مواطن مصري من كافة الانتماءات السياسية ، وطرده للكثيرين من أعمالهم ووظائفهم ، والتى انتهت أيضاً بفصل د / عبد المحسن بدر ود / جابر عصفور من الجامعة .

كانت قصيدة الطيور في رأيه هي قصيدة فراره إلى السويد أستاذاً في جامعاتها .

رفرف

فليس أمامك ـ والبشر المستبيحون والمستباحون :

صاحون

ليس أمامك غير الفرار

الفرار الذي يتجدد كل صباح

...

فسر صديق آخر ـ أستاذاً للفلسفة ـ القصيدة تفسيراً غريباً ، أعجب أمل بمنطقة الفلسفي والذي راح صاحبه ليلة طويلة يحكي فيه عن (المرأة الطائر) و(المرأة الضفدعة) وكنت أغضب أمام هذا التفسير مرددة : **هل تظن أنني المرأة الضفدعة أقاقئ حول الطعام المتاح ؟**

يضحك أمل بشدة مندهشاً :

ـ كيف تحملين سوء النية معي ؟

في معرض حديث أمل عن صلاح عبد الصبور وحجازي كان يؤكد دائماً أنه لا ينتمي فكرياً وثقافياً إلى جيلهما ـ هذا برغم تأثره طويلاً بحجازي ـ فجيلهما هو جيل الإنتصارات ، الإنتصارات على المستوى الوطني والمستوى القومى ، بينما أمل كان ينتمي إلى جيل الهزائم الجيل الذي بدأ احتكاكه الفعلي مع الواقع

بمشاهدة المفكرين والمثقفين والشعراء في المعتقـلات عام ١٩٥٩ ، وبداية إنهيار المد الوطني في ذلك الوقت بالانفصال المصري السوري ١٩٦١ .

كما أن جيل صلاح وحجازي هو جيل الشعارات التي لم تطبق فهو جيل نما مع الاشتراكية التـي لم تكن قد طبقت في ذلـك الوقت ـ جيـل العداء للاستعمار بشكله التقليدي . لكن جيل أمل نشأ وقد بدأت الاشــتراكية العربية تطبق وبدأت آثارها السـلبية تظـهر في المجـتمع .. انه جـيل الاشتـراكية بلا اشــتراكيين .

في ١٩٧٦ في فندق وندسور أخــرج أمل قصيدة من جيبه كان قـد انتهى من كتابتها (خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين) وراح يقرؤها لي .

أعجبتنى القصيدة فنياً على الرغم مـن رفضي لمنطق هجومها على عبدالناصر والذي شكل بالنسبة لي إنتماء فكرياً ووجدانياً .

قلت له :

ـ لا أستطيـع أن أعجب بقصيدة تدين عبد النـاصر .

قال :

إنني لا أكره عبد النـاصر ، ولكن في تقـديري دائماً أن المناخ الذي يـعتقل كاتباً ومفكراً لا يصح أن أنتمي إليه أو أدافع عنه .. إن قضيـتي ليست عبد النـاصر حتى ولو أحببته ولكن قضيـتي دائماً هي الحرية .

* * *

* كان السرطان يأخذ من جسده الناحل فتزداد روحه تألقاً وجبروتاً حتى كان باستطاعة زواره وعائديه أن يروا صراعه مع الموت رأى العين.. صراع بين متكافئين ، الموت والشعر . وفي اللحظة التي وقع فيها الجسد بكامله بين مخالب الوحش خرج أمل دنقل من الصراع منتصراً .. لقد أصبح صوتاً محضاً، صوتاً عظيماً سوف يتردد أصفى وأنقى من أي وقت مضى .

(أحمد عبد المعطي حجازي)

« مأســاة الســمك النــادر »

مـأسـاة أمــل ببسـاطة أنه ظل قادراً على حمل البحــر ، بينما البحر لم يستطع أن يحمله .. أجمل سمكة نادرة في مياهه .

ظل دائماً يبحــث عن التوازن الصعب داخـل هذا العالم المتواتـر والمرفوض حـوله ، وداخـل هذا التنــاثر الحاد في كيــانــه حتى انفجــر كل شــيء .. وتمدد السرطان ..

كبر سمك القرش ملتهماً السمكة النادرة .

أتسـاءل : لماذا يكون موت الشاعر انفجاراً سرطانياً مدوياً ..؟ لماذا يتبدد خلية خلية شاهداً موته لحظة بلحظة ؟

والاجابة بالتأكيد لا يعرفها سمك القرش .. فالإجابة في البحر الذي لا يدري حتى الآن كيف يعاقب قراصنته القتلة ؟ .

الإجابة في البحر الذي لا يدري أيضاً كيف يخبئ أسماكه النادرة .. ويحافظ على صناديقه المليئة بالكنوز والأسرار .

ولعل الإجابــة أيضـاً في خلايا السمــك النادر الذي يحترف الفرار إلى الــزمن التصادمــي ، وأمل محترف عنيــد للفرار الذي يتجــدد كل صبــاح إلى العصيان والتمرد والثورة من أجل رد كل شــيء إلى حقيقته ، وإعادة كل شـيء إلى دورته الدائرة حتى القتيل لطفلته الناظرة ..

لا تصالح

إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة

النجوم لميقاتها

والطيور لأصواتها
والرمال لذراتها
والقتـــيل
لطفلته الناطـــــرة

كان مشروعه المضاد يشكل هدفاً حتمياً لا بديل عنه في هذا الزمان المختلف ، وهو بطبيعته ، وحركته الواعية ، ورغبته الأصيلة في التحول من الذاتية إلى العمومية ، وفي سعيه الدائم للخروج من المساحات الضيقة إلى المساحات المطلقة الرحبة .. بل وفي إصراره على تحويل كل مستحيل إلى ممكن كان لا بد له وأن يصطدم مع واقع مغلق داخل ذاته .

وكان أمل متصادماً دائماً .. حتى الموت !

سبتمبر ١٩٧٩

. . .

وبالتحديد بعد مضي ٩ أشهر على زواجنا .. ورم صغير في جسد أمل يتزايد يوماً بعد الآخر .. قال الطبيب بعد ثلاثة أيام فقط من ظهور الورم هو (السرطان) .

ظللنا صامتين نخشى من ترديد اسم المرض .. وانتابتني حالة من الرقة البالغة في التعامل مع أمل ربما هي الخوف .. نهرني أمل عن تلك الرومانتيكية في التعامل مؤكداً أن أمامنا موقفاً صعباً لا تحله الرومانتيكية وراح يفكر في مواجهة الغد .

حدد الطبيب موعداً لإجراء الجراحة .. فنسينا السرطان .

لم نكن نملك مليماً واحداً .. وأجر الطبيب (٣٠٠ جنيه) هذا إلى جانب حجز المستشفى وثمن الدواء وأشياء أخرى .

لم نفكر كثيراً في هذا السرطان الذي هاجمنا فجأة قدر ما كنا نفكر في كيفية الحصول على (٥٠٠ جنيه على الأقل) لإجراء الجراحة .

تضاءل التفكير في المرض وتضاءل الخوف من السرطان أمام احتياجنا الأول إلى المال.

إنها المرة الأولى التي نعرف فيها حقيقة قسوة الفقر .. المرض هو الحالة الوحيدة على هذه الأرض التي تحول الفقير إلى بائس حين يواجه قدره عاجزاً .

رفض أمل نهائياً فكرة بيع خاتم العرس الماسي .. انها ثمن أرض الصعيد .. إنه الرمز الذي لا يمكن بيعه من أجل ٥٠٠ جنيه .

أصررت على بيع الخاتم ، فهدد أمل بعدم إجراء الجراحة (وكان عنيداً لا يتراجع حتى أمام الموت) .

استطعنا تدبير (٣٠٠ جنيه) مبدئياً من عدد من الأصدقاء بينهم صديق شديد الثراء قام بدفع ٢٠٠ جنيه .

صدر قرار من صندوق الفنانين بوزارة الثقافة بتغطية نفقات العلاج ، وتم إرسال مبلغ (٤٠٠ جنيه) على مراحل مختلفة. قمنا برد المبالغ المستدانة فيما عدا مبلغ الـ ٢٠٠ جنيه فقد قبض الصديق الثري أضعاف ما له عندما راح في شوارع القاهرة يعلن أنه دفع أكثر من ٨٠٠ جنيه حتى يتمكن أمل من العلاج ، بل راح يردد الكثير عن إدعاء أمل للمرض للحصول على بعض الأموال .. وقد لاقت هذه الأقوال هوى لدى نفوس كثيرة فقاموا بترويجها . وخاصمه أمل سنوات .. خاصمه حتى الموت .

لقد أخذ كثيراً من موقفه ، بل لقد سقط الموقف نهائياً .

...

كانت الجراحة الأولى تعنى لدينا الرعب الشديد ، فهذه هي المرة الأولى التي نقف فيها في مواجهة السرطان .

وأنا أسير بجوار (الترولي) الذي يحمل أمل إلى غرفة العمليات سمعته يتمتم بالشهادة (**أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله**) .

ضحكت :

ـ أمل لقد ضبتك متلبساً بالإيمان .

ابتسم في هدوء مردداً في همس خائف :

ـ أخشى ألا يؤثر فيَّ البنج .

فقبلته وأنا شبه منهارة .

...

في صباح اليوم التالى إستيقظنا على بحيرة من الدم تغطى أمل وجلبابه وملاءة سريره .. ولأنّا لا نعرف شيئاً قلنا هو الموت .

شلنى الفزع أمام هذا النزيف الحاد الفجائي .. وجريت باكية أبحث عن طبيب بينما راح أمل في هدوء غريب يضغط على جرس جواره يستدعي ممرضة الغرفة . كان الأمر أبسط من توهماتنا .. إنه نزيف عادي يمكن أن يحدث بعد أي جراحة .. بدا الأمر عادياً للغاية ، استئصال ورم سرطاني لا يختلف كثيراً عن استئصال لوزتين أو زائدة دودية .. بل لم تكن المستشفى مصدر إزعاج لنا فهي المرة الأولى منذ زواجنا التي تجد فيها حلولاً مريحة ومنظمة لمشاكلنا اليومية العادية الخاصة بالغذاء والإفطار والعشاء ..

لقد استطاع هذا الفندق العلاجي توفيرها .

مارس ١٩٨٠

بعد ٥ أشهر بالتحديد من الجراحة الأولى ظهر ورم سرطاني آخر .. على الرغم من تأكيد الطبيب سابقاً على نظافة جسد أمل التام من الخلايا السرطانية وكان ذلك إيذاناً بالخطر ، فمعنى ذلك أن السرطان سيعاودنا دائماً .

ولم يسترح أمل لتلك الجراحة الثانية فكثير من الأصدقاء لم يعلموا بها فقل زائروه .. كما أن شكل الغرفة التي أقمنا فيها كان مخالفاً لشكل غرفة الجراحة الأولى والتي كنا قد اعتدنا عليها .. فشعر أمل بالملل السريع وضاق بالمستشفى هذه المرة .

* فبراير ١٩٨٢ :ـ

قال الجراح في حدة قاسية : المرض منتشر في جسدك منذ أكثر من سنة وأنت لا تأتي لمتابعة الكشف . تذكر أنك مريض بالسرطان وأن الأمر أكثر خطورة من أن تتعامل معه بمنطق الشاعر . لقد تجاوز المرض الجراحة فلابد من ذهابك في الغد إلى معهد السرطان .

وانفجرت باكية بينما ظل أمل صامتاً يقتله الحزن الشديد حتى فاجأني بسؤال غير متوقع ، ربما ليكسر به حزنه العميق ، وربما كان شاغله الحقيقي :

ـ لما ذا لا يريدني الطبيب أن أتعامل مع السرطان كشاعر ؟

ولمحت في عينيه بعض دموع . فلم أحتمل النظر إليه .

ولفنا الصمت .

من عيادة الطبيب ذهبنا إلى أتيليه القاهرة قال أمل لبعض الأصدقاء .

ـ يمكنكم دعوة عبلة إلى كوب من العصير المهم لا تجعلوها تبكى .

ولم يسأل أحد عن السبب فلم يكن يجرؤ أحد عن سؤال أمل عن شيء لا يريد البوح به . وكان لابد لي من الذهاب بعيداً عن عينيه فقد كانت حالتي أكثر بؤساً أو على الأقل كانت دموعي تفضح كل عذاباتنا .

عدت هادئة نوعاً بعد قليل لأجد أمل في دائرة من الأصدقاء يمارس نقاشاته الحادة ، وضحكاته العالية ، وكأن شيئاً لم يحدث قط .

أصر في تلك الليلة طبيب من الأصدقاء على دعوتنا على العشاء ، وهو الذي كان يرفض دائماً فكرة السهر مع أمل لأنه يشرب الخمر ، والطبيب ينتمي إلى الإخوان المسلمين .

شرب أمل كأساً من الويسكي ، وبرغم ذلك شاء الصديق أن يدفع الحساب كاملاً .. ابتسم أمل وأصر على دفع ثمن كأس الويسكي قائلاً :

ـ لماذا تتخلى عن الجنة بسهولة ؟

أم أنك تريد دخولها في زجاجة خمر ؟

لم يعلق الصديق على تلك السخرية من رجل يعرف تماماً كطبيب بل ويعرف هو أيضاً أنه على موعد مع الموت قريباً .

. . .

في اليوم الأول لذهابنا إلى معهد السرطان .. استيقظت مبكرة فوجدت أن أمل لم ينم ليله : **انني خائف !**

لم يستطع أمل السير في شارع منزلنا القصير .. كانت قدمه اليسرى التي ظل الألم فيها طوال عام يزداد يوماً بعد يوم تمنعه من المسير ، فتوقف ليستند على أكثر من حجر ، وأكثر من سيارة واقفة **(تحتشد القاهرة بملايين السيارات الفارهة بينما أكبر شعرائها يخطو بقدم واحدة إلى معهد السرطان)** .

عندما لمحت السيارة الأجرة هتفت صارخة في منتصف الشارع :

معهد السرطان !

يومها قاوم أمل عذابه قائلاً : **جميلة وأنت تنطقين السرطان** وضحك حتى لا أبكي وضحكت بدوري حتى لا ييتئس !

. . .

في غرفة حسابات المعهد طلبنا غرفة مستقلة بمرافق ، قالت الموظفة (٧٠٠ جنيه) .. معنا (٣٠٠ فقط) .. قالت الموظفة إذن غرفة لمريضين دون مرافق .

وكان ذلك مستحيلاً . كيف تمر الأيام وكلانا بعيد عن الآخر . إن السرطان الحقيقي يا سيدتي هو إنفصالنا .

رفض أمل نهائياً فكرة الإقامة وحده ولو ليلة واحدة ، ولم يخطر في بالي لحظة أن يحدث هذا .

حجزنا غرفة للغد لحين استكمال المبلغ . وخرجنا من المعهد لنتناول طعام الغداء بمقهى ريش احتفالاً بعثورنا على غرفة خالية في معهد السرطان !!

* * *

« عــالم الغــرفة (٨) »

كانــت الغرفة رقم (٨) بــالدور السابع على مــوعد معنا ، أو لعلنا كنــا نحن الذين على موعــد معها ، فقد صارت منذ اليوم الأول سكنــا الدائم ، بل هي أول منزل حقيقي تمتد فيه إقامتنا لأكثر من سنة ونصف كاملين .

كان للغرفة (٨) ملامحها الخاصة وإشعاعها الجميل ..

على الجدران صور ملونــة ولوحات كاريكاتيرية وقصــائد شعر .. أمام عين أمل كــانت صــورة يحيى الطــاهر عبــد الله معلقــة على الحائط المواجه .. وعلى الجدار المجاور كانت بطــاقة من ياسر عرفات تحمل تمنيــات الثورة بالشفاء .. وبجوارها رسم كاريكاتيري لجورج البهجوري حاملاً بعض باقات الزهور إلى أمل فوق سريره ، قد أرسله خصيصاً من باريس .

وعلى نفــس الحائط علقنا قصيــدة حســن طلب (زبــرجــدة إلى أمل دنقــل) وقصيدة أمل (ضد من) التي نشرت في جريدة الأهرام .

على منضدة قريبة كان هناك العديــد من الكتب والأوراق والأقلام إلى جانب جهاز تليفزيــوني صغير وجهاز تسجيل ومجموعة مــن الشرائط تحمل أغنيات عديدة .

وعلى منضدة أخــرى كانت مزهــرية تحمل ورداً دائماً تفرح بــه أسماء إبنة يحيى ، وتصر على أن تضع واحدة منها في شعرها في كل زيارة .

كانت الغرفــة تعلن سعادتها بساكنها الشاعــر ، ولأول مرة أدرك أن حوائط الأسمنت أيضاً تحب الشعر .

نظر أحد الشعراء من شرفة الغرفــة فرأى النيل يبدو من خلالها رائع المنظر

خلاباً ، حسد أمل على هذا المشهد اليومي الجميل الذي لا بد وأن يفجر فيه أكثر من قصيدة ، سخر أمل من تلك الرؤية الرومانسية الساذجة ، فالنيل لن يكون لديه يوماً مجرد لوحة جميلة يراها من نافذة .. أو طبيعة ساحرة ينظر إليها من خلال مزاجه الشخصي .

إن النيل الذي يعرفه مجرد مواطن درجة ثانية في هذه المدينة ، عليه أن يبرز أوراقه الرسمية : شهادة الميلاد والتطعيم والموطن الأصلي والجنسية حتى يمارس الحرية !

ناديت يا نيل
هل تجرى المياه دما
لكى تفيض
ويصحو الأهل أن نودوا ؟

لم يسمح أمل بدخول الميلودراما إلى الغرفة (٨) فلم يصادق أحداً من المرضى ، ولم يسمح لأحد منهم حتى بإلقاء تحية الصباح عليه .. فلا يوجد مبرر في العالم يدفعه لأن يمارس تحيات ساذجة طول اليوم لمجرد أن القائم بها شخص مريض .. وكان عنيفاً في ذلك إلى حد القسوة .

- صباح الخير يا أستاذ أمل .

- أفندم .

- ربنا معانا يمنحنا الصبر والشفاء .

يصمت أمل رافضاً الرد على هذا المريض منشغلاً في أى شىء بجواره . (جريدة - كتاب) معلناً أنه لا يريد أن يرى المرضى .

مريض واحد فقط استطاع إقتحام الغرفة وفرض صداقته علينا لفترة وهو (كريم) ابن شاعر العامية المصري (محمد سيف) .. طفل لم يتجاوز الرابعة من العمر ، وكان مريضاً بسرطان الدم !

كل صباح يأتى لتحياتنا . فيستقبله أمل : **أهلا يا رفيق !**

تساقط شعر رأس كريم كاملا بعد تناول العلاج .. بكى الطفل عندما داعبه أمل : «لقد أصبحت أقرع مثلى» .. فأهداه أمل (كاسكيت حمراء) وأقنعه أنه أصبح أكثر جمالاً برأسه الأحمر !

يبكي كريم كل صباح من وخزات الحقنة فيقنعه أمل أنها شيء جميل للغاية ولا يستحق البكاء ، فهم يضعون في يده فراشة خضراء ..

(كانت الحقنة التي يعبأ فيها الدواء وتسمى بتر فلاى تأخذ شكل الفراشة من البلاستيك الأخضر) .

فرح كريم بالفراشات في يده ، وأخذ يتبادل مع أمل الفراش الأخضر .

ولقد كان أمل محقاً في محاولة ابتعاده القاسية عن المرضى ، فقد عذبه كريم ليالى طويلة ، وكان سبباً في إنفجاره يوماً بالبكاء الحاد .. إنها المرة الأولى التي يبكي فيها السرطان ، ويبكي عذابه ..

- **ما الذي جناه طفل في الرابعة ليسكنه هذا العذاب ؟**
  ويذوب خلية بعد أخرى ؟

ولم تكن لدي إجابة سوى إعطائه فرصة الإنفجار باكياً ولو مرة واحدة .

- **أمل لن نبكي بعد ذلك . لا بد أن نحاصر أنفسنا بالتفاؤل . إنه سلاحنا الوحيد ومقاومتنا الأخيرة . إما أن نحقق ذلك ، وإما أن نعلن هزيمتنا ونقرر الموت ..**

ابتسم أمل :

- **منذ متى وأصبحت حكيمة ؟**
- **منذ أن جاورت الحكيم .**

وبالفعل كل غرف معهد السرطان كان يسكنها يأس ودموع والغرفة رقم (٨) كان يسكنها (أمل) .

كان يسكنها حب عظيم للعالم الذي قد لا نستطيع الذهاب إليه ، لكنه كان دائم الحضور إلينا .

* * *

مرت الأسابيع الأولى مفزعة .. كان مجرد كشف الطبيب بيكيني .. حقنة الجلوكوز ، مصل الدواء .. أجهزة الأشعة الضخمة تصيبني بالرعب .. بل إن أصوات المرضى الآخرين كانت تملأني بالخوف الشديد .. فعلى ريق الصباح توقظني صرخة مريض بالغرفة المجاورة لم تستطع حقن المورفين تسكين آلامه .. وقبل أن أغسل وجهي تطالعني وجوه باكية حول جثة هزمت سريعاً . وأظل أحصر عدد المهزومين يوماً بعد الآخر ، وأخبئهم عن أمل .

في البداية كانت تفزعني الجثث التي تتساقط يوماً بعد يوم ، ثم أصبح الموت أمراً عادياً ، وتشكلت الصعوبة كلها في كيفية تخبئة ذلك عن أمل .

وكان الخوف يأخذ لدى أمل دائماً شكل الصمت .

...

انتظرنا تحليل الدم الفاصل والذي يتحدد من خلاله طبيعة ونوع السرطان الذي تمدد في خلايا الغدد الليمفاوية ، وكنا نعرف جيداً أن هناك نوعاً سرطانياً يسمى (التراتوما) يعنى الموت (فقد اخبرنا الطبيب بالجراحة الأولى أن مريض التراتوما أقصى حدود مقاومته ربما لا تتجاوز ثلاثة أشهر .. كان يقص علينا ذلك مبشراً أمل بأن تحليلاته أكدت إبتعاده عن التراتوما وهو ما كان يخشى منه) .

نظر طبيب معهد السرطان إلى تحليل الدم الأخير ، ودون أن يدرى شيئاً عما نعرفه قال :

ـ للأسف الشديد لقد أكدت التحاليل إصابتك بالتراتوما ، وهو أمر صعب ، لم نكن نريده لكننا سنبذل كل ما لدينا من أحدث طرق العلاج .

انهرت تماماً فقد حكم الطبيب بالموت علناً .

ظل أمل صامتاً ، وأنا أصرخ في وجه الطبيب باكية :

ـ إن لم تكن واثقاً من قدراتك على العلاج فلا داعي للإستمرار معك ..

إندهش الطبيب من سلوكي العصبي الحاد !

وبينما أخذتني طبيبة أخرى إلى خارج الغرفة همس أمل إلى الطبيب :

ـ لماذا كنت قاسياً معها إلى هذا الحد . كان يمكن أن تخبرني وحدي .

إندهش الطبيب أكثر من هذا المريض الجرانيتي !

ظل أمل طوال اليوم يمسح دموعي التي لم أستطع أبداً إمساكها ، أو السيطرة عليها وعندما كففت عن البكاء .. فكر أمل في هدوء غير طبيعي بالتأكيد في الخروج من المعهد ، وعدم استكمال العلاج حيث لا جدوى .

وبدأت دوري في تهدئته :

ـ ليس في إمكانية الطبيب اختيار موعد الموت ، إنه توقيت إلــهى .

...

كانت الأسابيع الأولى أشبه بنوبات دورية يمارس فيها كل منا انتقال الدور في تهدئة الآخر .

ثم انفجر أمل في غيابي يوماً أمام الصديق الشاعر عصام الغازي :

لماذا يهاجمني الموت في زمان الفرح والهدوء ؟ .

لماذا أصاب بالسرطان في عام زواجي ؟

لو سألتني عن الموت ، فأنا لا أخشاه ، لكن أكثر ما يعذبني في موتي هو بكاء أمي وعذاب عبلة من بعدي !

لم يحتمل عصام الغازي رؤية أمل للمرة الأولى بهذه الصورة ، فذهب ولم يعد مرة أخرى إلى المستشفى .

كانت الأسابيع الأولى شديدة القلق .. شديدة الخوف .. شديدة التوتر شديدة العذاب والقسوة .

شاهدني الطبيب بعدها ضاحكة .. فشكر أمل لأنه مرافق جيد للمريضة التي هي أنا .

. . .

صار السرطان صديقنا ، أو على الأقل أصبح لا يزعجنا وجوده كثيراً ، نعانده ونسخر منه ، بل ونهزمه برغبتنا المستمرة في الحياة ، والحياة السعيدة.

كنا نضطر إلى المرور عبر الجثث المتراكمة في غرف المشرحة بالدور الأرضي بمعهد السرطان من أجل أن نستطيع محادثة صديق تليفونياً حيث سويتش المعهد .

ولم يكن يعني ذلك شيئاً .. لقد صارت الجثث والموت جزءاً من حياتنا بل كان طريق الموت هو الطريق الوحيد إلى الحياة والإتصال بالعالم .

كان أمل المريض الوحيد الذي يتسلل في منتصف الليل من غرفته ليسرق شوارع القاهرة ويعود ليخبئها في سريره ..

نسى أنه مريض ومارس عشقه لشوارع القاهرة ، بالإصرار على رؤيتها بين الحين والآخر ، من نافذة سيارة أحد الأصدقاء .

صارت القاهرة التي عرفت كل شوارعها وحواريها خطوات أقدام الشاعر مجرد ضوء من نافذة سيارة تقطع الشوارع طوال الليل .

* * *

غضب الطبيب من فكرة سفر أمل للعلاج في أمريكا أو في موسكو . على الرغم من تراجع الفكرتين ، مرة عندما لم يسع أحد لتحريك العلاج بأمريكا .. ومرة بعرقلة أو عدم إهتمام عبد الرحمن الشرقاوي بطلب خالد محيي الدين بتسهيل إجراءات سفر أمل إلى موسكو .

ومع كل الأحوال رفض أمل السفر ، ورفض طبيبه المعالج د / رضا حمزة مؤكداً أن نفس نظام العلاج الذي سيطبق هناك هو الذي سنطبقه هنا ، لكن

هناك مجرد مواطن مــن دولة نامية ، بينما أنت لدينا ثروة قــومية ندرك قيمتها ونحافظ عليها .

وكان أمل مقتنعاً بالعلاج في مصر ، واثقاً في أطبائه ، فخوراً بكفاءتهم العلمية .. كما كان مدركاً أن الموت لن ينتظر لحظة واحدة في أمريكا .. إن قليلاً من الأمل في مصر أكثر شفاء له من الكثير من الأمل في برودة الغربة البعيدة .

وكنا جميعــاً مقتنعين بذلك فقــد عاش أمــل ٤ سنوات كاملــة يصارع الموت وجهاً لــوجه بقلــوب الناس التي وعــدت بالمجيء، وجــاءت لتلتف حــول سريره المعدنى المسكون بالشمس .

انتقل الشــارع وانتقــل المقهى بأكمله داخل الغرفــة (٨) .. أكثر من ٢٠ زائر يوميــاً ولم يكن ذلك يمثل إرهــاقاً لأمل ، بل على العكــس كانت ملامــح الإرهاق تتبدد تماماً وتنتابــه الصـحة والحيوية عند أول زائر يعوده .. حتــى صار موعد الزيارة هو موعد مع الصحة ينتظره .

امتلأت الغرفة بالناس .. تحمل فتاة أقلامها الملونة ، وتجلس ساعات لرسم أمل ، وتصر فتاة أخرى على أن تقتصد من مصروفها ثمن باقة ورد أسبوعية إلى أمل .. ويصر صديق على أن يحمل في كل زيارة كاميرا ليلتقط صوراً عديدة لأمل

صــــارت وجــبة الغـــــداء وجـبة جماعيــة .. يتــــوافد الكثـــيرون وتنعقـــد المناقشات والحوارات الطويلة حتى صارت الغرفة حديث المعهد كله .

مئات الــرسائل لا تنقطع بصــورة يومية مــن داخل مصر ومن خــارجها .. خاصة بعد أن نشرت مجلة الدوحة عنوان أمل في المعهد .

ومن لم يأت حملته إلينا رسائله :

*** ـ أمل لن أراك مريضاً .**

فموعدي معك في الليل .. في إحدى البارات مع كأس من الخمر المغشوش.

*** ـ الليــل بدونـــك غـــير ما عـــرفت .. والقــاهرة بدونك خــربة ومملــة**

أوحشتنا حقاً لكن بعيداً عن مستشفاك .

*** ـ ليس من الضروري أن أزورك فأنت تعرفني جيداً . قد أكون ذلك الذي تقصده أو الذي جعلت جزءاً كبيراً من إبداعك ينصب عليه إنني إبن المعاناة معاناتي ومعاناتك .**

*** ـ أنت أحد الأشخاص النادرين في حياتي الذين فكرت في لحظات عجزي وفشلي وخسارتي أن أكتب لهم ، وأقول لهم أنني وحيد تطاردني التفاهة وتفترسني أوهام تعسة .**

*** ـ نحن الفقراء المتشحون بعاهتنا ، لا نملك إلا زهرة ضراعة بيضاء كي يهبك الله الشفاء ويهبنا الفرح بذلك .**

وتوالت الرسائل من كل مكان .. وتوالت الرسائل من باريس من عبد المعطي حجازي :

«لقد نزل على خبر وجودك في المستشفى كالصاعقة ، وقد اعتبرت ذلك وكأنه شيء موجه ضدي بالذات .. فأنا في حاجة إليك يا أخي ، ليس هذا شعوراً أنانياً ، فأنت تمثل قيمة كبيرة ومستقبلاً ، أنت تمثل لي ولمن يحبونك وهم كثيرون جداً جداً ، تمثل لنا أملاً حقيقياً وقدرة أكيدة على العمل والإضافة والتجاوز والصدق مع النفس والآخرين .. وهذه بذرة تحتاج إليها البلاد الآن ، ويحتاج إليها الشعر.. لا أبالغ» .

...

وصار نداء يوسف إدريس الشهير على صفحات جريدة الأهرام نداء عاماً :

بالله يا أمل لا تمت فكلنا فداؤك .

...

قبل مطالبة د / يوسف ادريس بعلاج أمل على نفقة الدولة كان قد مضى

أكثر من شهريـن على إقامتنا بالمعهد أنفقنا خلالها أكثـر مما كنا نملك (٣٥٠٠ جنيـه) كـان ثمن الـدواء الشهـري فقـط (١٠٠٠ جنيه) دون أجـر الطبيـب ، والتمريض، والمستشفى ، والتحاليل ، والأشعة ، والعلاج الطبيعي .

طالب بعض الأدباء من رئيس اتحاد الكتاب (الأستاذ ثروت أباظه) مشاركة الاتحاد في علاج أحـد اعضائه فوافـق السيد الرئيـس على صرف (١٠٠ جنيه) مشاركة من الاتحاد على أن يتقدم أمل بطلب التماس !!

وبالطبع لم يتقدم أحد بالتماس .. بل ولم يعلق أمل على ما حدث !

صدر قرار من وزير شئون مجلـس الوزراء بعلاج (المواطن أمل دنقل) على نفقة الدولة بـالدرجة الثانية دون مرافق بنفقات قـدرها (١٠٠٠ جنيه) ، وكان قراراً تهريجياً رفضه أمل ، ورفض أيضاً تعديله إلى (٣٠٠٠ جنيه) وظل مستاء طويلاً مـن مكاتبة شئون مجلس الوزراء إليـه (بالمواطن أمل دنقل نـزيل معهد الأورام) .

طالبت حسابات المعهد بألف جنيه لتغطية رصيد العلاج بعد إنكشافه .. كان معنا في تلك اللحظة أحـد الأصدقاء ودون أن يسأله أحد منـا ، ودون أن نطالبه بالتفكير معنـا في هذه المشكلـة الطارئة صرخ في الغرفـة : حتى آخـر قميص في داري يا أمل .. غداً سأحرر لكما شيكاً بألف جنيه .

لم نعلق بشيء فقد كان إنفعال الصديق حاراً وحقيقياً ، لكننا في نفس الوقت لم نفكر في هذا الطريق .

جاء الصديـق في صباح اليوم التالي أمضـى معنا طوال اليوم دون أن يـذكر شيئاً عن الشيك الذي وعد به ، ودون أن نسأله نحن بالطبع عنه !

حزن أمل ، نبيلاً في صمتـه .. فلم يكن الأمر مالاً .. ولكن ، كيـف تواطأ من سكن القلب على دمنا المكشوف !

...

صديق آخر كان يخجل من فقره الذي لا يساوي أكثر من (١٥٠٠٠ جنيه)

هي كل رصيده في البنك .. شاهد إشعار المستشفى المطالب بالألف جنيه ، فلاذ بالصمت ، وراح يلعن داخل الغرفة الحكومة !

زارنا أحد كبار الناشرين الأثرياء في بيروت كانت زيارته للقاهرة لا تتجاوز أسبوعاً واحداً حرص أن يكون أهم ما فيها زيارة أمل في المستشفى .

أخرج من جيبه بعضاً من المال ووضعه تحت الوسادة .. أقسم أمل ألا يفعل الرجل ذلك :

- أمل إنني صعيدي مثلك .. هذا منطقنا وتلك تقاليدنا .

أقسم أمل مرة أخرى بغضب أفزع الرجل .. فتراجع .

ظل الرجل طوال أسبوعه في القاهرة يحكي عن مساهمته في علاج أمل !!

سنة تمضي وأخرى سوف تأتي

فمتى يقبل موتي

قبل أن أصبح مثل الصقر

صقراً مستباحاً

كان كل شيء يحاصرنا دائماً بالعجز التام ، والذي كان الموت أخف وطأة منه .. بكى أمل عندما أتته مشاركة الأصدقاء في السعودية والكويت مساعدة في علاجه .. بكى يومها العجز ، والمرض ، والعذاب !!

« أوراق الغرفة (٨) »

مضى أكثر مـن ثلاثة أشهر دون أن يتـذكر وزير الثقافـة أن أكبر شاعر في مصر مريض في معهـد السرطان .. متناسياً إرسال باقـة ورد أو زهرة وحيدة .. هكذا كشف يـوسف إدريس بمقالته كيفيـة التعامل مع شعرائنـا في زمان النثر الردىء .

فأرسـل وزير الثقافـة ـ باقـة ورد كبيرة وخطاباً مملـوءاً بالود والـدعوات بالشفاء إلى أمل :

السيد الأستاذ الشاعر أمل دنقل

تحية ملؤها الدعاء الصادق ، وحباً كله تضرع للخالق القادر وأملاً إلى الله أن يحقق كل أمل بشفاء أحد شعراء مصر العمالقة أمل دنقل .

و إذا كانـت وزارة الثقافـة قد قـامت بـدورها في الإطـار الذي يـرسمه القانون لها . فإنني من منطلق حبي لك ولكل أديب أرجو أن تقبل تحياتي وتمنياتي لك بالشفاء العاجل .. و إلى لقاء قريب بإذن الله .

المخلص

عبد الحميد رضوان

امتلأت الغرفة بباقات الزهور ، منذ أن نشرت الجرائد خبر القرار الإستثنائي الـذي أصدره رئيـس الوزراء (د/ فـؤاد محيي الـدين) بعـلاج أمل على نفقـة الدولة..

كانت معظم باقات الزهور تحمـل رائحة وأحاسيس رسمية غير دافئة .. بل أن نوعية زائري الغرفة خلال ذلك الأسبوع تغيرت قليلاً .. فمن لم يزره من قبل

بدأ يتوافد على زيارته ، بل إن بعض الأقارب جاءوا من بلدتهم خصيصاً لزيارة أمل للمرة الأولى فرحين بموقف الدولة مؤكدين (أن تشريف الحكومة لكم تشريف لنا نفخر به) !!

...

وتحول أمل إلى مريض .. بل صار في ذهن أجهزة الثقافة والإعلام الرسمي (المريض الشاعر) يقيمون له مهرجاناً إعلامياً أخلاقياً دون إشارة إلى شعره .

تتزايد باقات الزهر الرسمية فيختنق أمل ويزداد كآبة من هذا المهرجان الفجائي المزيف ، ولم يستطيع يومها النوم قبل أن يكتب قصيدته (زهور):

كل باقة

بين إغماءة و إفاقة

تتنفس مثلي بالكاد ـ ثانية ثانية

وعلى صدرها حملت ـ راضية

إسم قاتلها في بطاقة !

شهدت الغرفة (٨) مولد ٦ قصائد (**ضد من . زهور . لعبة النهاية . الخيول . السرير . الجنوبي**) .

كانت قصيدة (ضد من) والتي كتبت في ١١/٥/١٩٨٢ في ذاكرة أمل من قبل أن يدخل معهد السرطان .. فذلك الصراع بين الأبيض والأسود كشفت عنه ورقة كبريت صغيرة كتب عليها أمل في يناير ١٩٨٢ :

في ردهات العيادات

لون المقاعد أبيض

وعندما زاره د / يوسف أدريس في المعهد طالبه بقصيدة جديدة لينشرها مع مقالته عنه ، وبالفعل لم ينم أمل قبل أن ينتهي من القصيدة .

أثار المقال والقصيدة الكثير من الجدل وأصبحت القصيدة حديث الناس ..

وكيـف استطاع أمـل أن يلخص رؤيتـه للكون مـن خلال لـونين فقط الأبيـض والأسود .

وفي نشـوة انتصار القصيـدة راح أمـل يكتب قصيـدة (زهـور) ثم (لعبـة النهاية) في ليلة واحدة ٢٩/ ٥/ ١٩٨٢ والتي وضع عنوانها في البداية (الآخر) .

قلت له أظنه ليس الموت وحده هو المقصود بالآخر .. فلم يعلق .

جسدين وقلبين متحدين
(تغيم الزوايا
وتحكى العيون حكايا)
فينسل بينهما
مثل خيط من العرق المتفصد
يلعق دفء مسامها
يغرس الناب في موضع القلب
تسقط رأس الفتى في الغطاء
وتبقى الفتـــاة محـــدقة
ذاهلة !

نشر أمل القصيدة في مجلة اليمامة السعودية تحت عنـوان (الموت) ثم عاد وعدّل عنوان القصيدة بشكل نهائي إلى (لعبة النهاية) .

. . .

غضبت مـن عصبيته الحادة يـوماً ، فصمت كعـادته حين تشتعـل النار في أعصابي . في صبـاح اليوم التالي ، وجدت بجـواره مسودة قصيدة ظـل يكتبها طوال الليل

لا تنتظري أن يبتسم العابس
فالفارس ليس الفارس
مدى بإنائك

عبر السلك الشائك

واسقيه من مائك

مدى طرف روائحك

حتى يصنع منه للقلب ضماداً

ويسد شقوق البرد القارس

ويرد البرد القارس

تتوالى فصول العام على القلب الباكي

لم يستروح عبر الأشواك سوى رؤياك

فعيناك ، الفردوسان : هما الفصل الخامس

عيناك هما آخر نهر يسقيه

بيت يأويـــــه

وآخر زاد في البيت

وآخر عجم أن يستفتيه

أريحيـــــــــــه

أريحيه على الحجر البارد

كي يرتاح قليلاً فلقد سار طويلاً

وقفي كملاك الحب الحارس

وقفى حتى لا يفجئه الموت

قفي كملاك الحب الحارس

...

أصر سليمان فياض وسامـي خشبه على أن يحتوي العدد الأول مـن مجلة إبداع على قصيدة لأمل ، فقام أمل بكتابـة قصيدة (الخيول) أو إعادة كتابتها في صورتها النهائية التي نشرت بها .. وأصّرا على قصيدة أخرى للعدد الثاني فكتب أمل (الجنوبي) .

ولعل تلك المحاصرة والإلحاح بالكتابة كانت تدفع أمل كثيراً للكتابة وهو الكسول الهارب دائماً من الإمساك بإبداعه .. فمن قبل كتب أكثر من نصف قصيدة (سفر ألف دال) في ليلة واحدة ، عندما كان لا بد من الانتهاء من الديوان لإرساله إلى بيروت .

...

وقد كانت قصيدة الجنوبي هي آخر ما كتب أمل داخل الغرفة ٨ .. ولم يعجب بها أمل كثيراً ، بينما ظل محتفظاً بإعجاب داخلي لقصيدة الخيول .. وراحت شوارع القاهرة تحفظ قصيدة الجنوبي وراح يرددها كل الأصدقاء ورأى النقاد فيها الرؤية المكتملة ، والتي لا بد وأن تفضي بالتجربة إلى الموت بل إن يوسف أدريس رآها رؤية مستحيلة ، مستحيلة أن يراها سوى أمل :

«هو وحده الذي كان يراها بوضوح شديد .. وحين صاحبته أكثر وأكثر ، وفي أخريات حياته كنت له رفيق كل يوم وكل نميمه وكل قهقهة عالية بدأت أخاف من رؤياه المستحيلة إذ كنت قد بدأت أراها .. وبدأت تحتل عليّ تفكيري حتى اني رفضت تماماً أن أقرأ قصيدة الجنوبي الأخيرة فقد كنت متأكداً تماماً أني لو قرأتها لأكتملت الرؤية ولمت مثله ومعه» .

وقد كانت سطور القصيدة الأخيرة بالتحديد قراراً نهائياً من أمل بالموت

هل تريد قليلاً من الصبر ؟
لا
إن الجنوبي يا سيدي
يشتهي أن يكون الذي لم يكنه
يشتهي أن يلاقى اثنتين :
الحقيقة والأوجه الغائبة

كان وجه القاصى الراحل يحيى الطاهر عبد الله أحد وجوه القصيدة ولطالما عذبت أمل كثيراً محاولة استحضار يحيى داخل قصيدة .. ففي كل مرة يحاول أمل استحضاره شعرياً يهرب يحيى وتهرب القصيدة .. ويظل يواصل أمل نداءه فلا يستجيب يحيى .

هل كان الحاح أمل على القصيدة يستفز يحيى الذي لم يشأ أن يكون مجرد قصيدة يكتبها أمل فيكف عن النداء ؟

أم كان يريد نداء أبدياً لا ينتهى حتى يتلاقى وأمل ؟

نسى أمل القصيدة .. فأطل يحيى في الورقة الأخيرة من أوراق أمل :

ليت (أسماء) تعرف أن أباها صعد

لم يمت

هل يموت الذي كان يحيا

كأن الحياة أبد

وكأن الشراب نفد

وكأن البنات الجميلات يمشين فوق الزبد

عاش منتصباً بينما

ينحنى القلب يبحث عما فقد

قالت لي أسماء إبنة يحيى وهى تنظر إلى قدمي أمل : إنه لا يحرك رجليه .

ـ نعم يا أسماء إنها توجعه قليلاً

جاءت في اليوم التالي تحمل معها رسماً ملوناً لأمل خارج السرير في حديقة مليئة بالزهور علقها أمل على الحائط بجواره .

* * *

حاصرتنا الكآبة ليلا ، ولفنا الصمت داخل الغرفة (٨) .. كان الضيق يحول دون أي حوار ممكن ، وإلا انفجر الكلام شجاراً والشجار عناداً وكلانا يحترفه !

مددت يدي أفتح التليفزيون في محاولة لكسر هذا الملل الخانق .. كان برنامج أمسية ثقافية للشاعر فاروق شوشة قد أوشك على الإنتهاء .. دعا فاروق شوشة ضيفه الشاب سماح عبد الله إلى تقديم قصيدته .

ذكر الشاب أنها قصيدة (يا صدرا وطنا) وأتمنى لو أن الشاعر أمل دنقل يستمع إلينا الآن لأنها مهداه إليه ..

ورسمتك في كراساتي

حقـــــلا

موّجتك أنهاراً

أوقدتك ناراً

نزّلتك مطراً

وتخـــيّرتك فصـــلا .. غـــير جميـــــع فصـــول الأعـــوام

تطلع أخضر كالحب

وتغنى للفقراء

كدت أجن فرحاً من المفاجأة ، وأنا أخاطب سماح (الذي لا نعرفه) أمام شاشة التليفزيون .

أنت جميل .. أنت أكثر من جميل

سقط الملل وسقطت الكآبة تماماً وامتلأت الغرفة بضجيج الفرح الحاد في صوتي ، بينما راح أمل ، في هدوئه يهدئ من انفعالي .

ــ يصبح فرحك أجمل داخلك ، مثلما يصبح حزنك أنبل دون الشكوى به .

هكذا استطاعت قصيدة من شاب صغير أن تكسر كل ملامح الكآبة ، وتعيد إلى أمل الهدوء والسكينة والفرح ..

مرة أخرى يكون الشعر هو التوازن والبديل عن الانتحار .

...

كان آخر لقاء شعري ألقى أمل فيه قصائده هو مهرجان (حافظ وشوقي) الذي أقامته وزارة الثقافة من ١٦ اكتوبر ١٩٨٢ إلى ٢٢ / ١١ ، إحياء لذكرى الشاعرين حافظ إبراهيم وأحمد شوقي ، بمناسبة مرور خمسين سنة على وفاتهما .

تردد أمل كثيراً في حضور المهرجان ، فقد كان بحالة صحية متدهورة ، حيث تساقط معظم شعر رأسه وأسنانه .. كما أنه لا يقوى على السير على قدميه إلا بصعوبة ، وبمساعدة عكاز وفقد أكثر من نصف وزنه ، وبدا هزيلا للغاية .

: لن أستطيع الظهور أمام الناس بهذه الصورة . إن الأمر سيتحول إلى شفقة .

صعقتني العبارة . إنه من أكبر شعراء مصر وأشدهم خطورة. وإن قصيدته وحدها قيمة فنية كافية لإحداث التفجير في وجوه الحاضرين ، فكيف يخطر بباله مرورها من خلال الشفقة .

قال :

ـ لن أذهب .

قلت :

ـ ستذهب ، وستكتشف أنك أجمل الحاضرين ، وأكثرهم صحة .

وافق أمل بسهولة ، فقد كان يدرك جيداً قيمته كشاعر .

...

حاول البعض مساعدته للصعود إلى المسرح فرفضهم بقسوة ، وصعد وحده لإلقاء قصيدته (لا تصالح) .. كان المهرجان رسمياً (من تنظيم وزارة الثقافة) وأمل يعلن وصيته الأخيرة واضحة ، قاطعة كالسيف ..

إنها الحرب

قد تثقل القلب

لكن خلفك عـــار العرب

لا تصـــــالح

ولا تتوخ الهرب .

قاطع الجمهور القصيدة بالتصفيق الحاد مع كل مقطع أو صورة شعرية ، بينما ترك أمـل عكازه ، ووقـف على قدميه بصـــلابة ، وأنــا لا أكاد أصـــدق أنه استطاع الوقوف ثابت القدمين ، دون عكاز ، طوال هذه المدة .

أجمع الحاضرون أن قصيدة أمل من أهم ما في المهرجان وكان ذلك صحيحاً إلى حد كبير .

عدنا إلى المعهد في الثالثة صباحاً (بعد سهرة في منزل الدكتور لويس عوض) كان المصعد معطلاً والجميع نيام ..

أصبح الأمـــر شـــديد الصـعوبة .. فـالغرفـة بالـدور السابـع ، وأمل لا يســتطيع الســير خطوة واحـدة .. صعـد أمـــل الطـــوابق السـبعة ، دون أن يشـــعر حتـى بالتعـب.. إنـه لم يصـعد بقـدميه بـل بنجـاحه وروح الشـــعر المنتصرة في داخله .

* * *

« حقــــل التجــــارب »

كان الطبيب مغرماً بالسياسة يأتي للكشف مردداً قصيدة أمل الشهيرة :

أبانا الذي في المباحــث

كيــف تمـــوت

وأغنية الثــورة الأبديــة

ليســـت تمـــوت ؟

أسأل الطبيب : لماذا أطباء السرطان يميلون في اتجاه اليسار ؟

يجيبنى ضاحكاً : عندما يهاجم السرطان شاعراً فلا مفر من تدمير الواقع .

ولم يدمر الـواقع بل تم تدمير أمـل (بالبلاتينوم) تلـك المادة المستخدمة في تفجير القنبلة الذريــة .. وكنت أردد أن أمل بحاجة إلى نسبة أكبر مــن البلاتينوم لأنه أقوى من القنبلة الذرية .

وكان طبيبه يــردد انه ليس شاعراً تــاريخياً فحسب ، بل ومــريض تاريخي أيضاً .. وكنا نفرح بهذه العبارات القاتلة لنذاري المأساة .

كان أمل مريضاً تاريخياً بالفعل .. فقد تمت في جسده تجربة علاج إشعاعي هي الأولى من نوعها في الشرق الأوسط ، حصل فيها على أكبر نسبة إشعاع ذري مكثف تعطى لمريض في جرعة واحدة ، حتى أن الطبيب سألني : هل توافقين على تصوير جسد أمل داخل التجربة .

وأجبت دون تردد : ان ذلك يسعد أمل شخصيــاً إذا كان سيضيف للتجربة العلمية .

كنت أرتعـد حول التجربه بينما راح الطبيـب في سعادة بالغة يلتقـط صوراً عديدة للجسد المغيب داخل الإشعاع الذري .. من خلال دائرة تليفزيونية مغلقة.

توقع الطبيب أثر التجربة حدوث إنهيار حاد حتى انه جند العديد من الأطباء والممـرضات لمتـابعـة إنهيـارات الجسد .. طبيـب مختـص بـالقلب، ومحاليـل جلوكوز.. وأكياس دم ، وأكسجين ، وحقن ، وأدويــة عديدة لمواجهة أي ظروف طارئة .

وخرج أمل من التجربة منتصراً ..

وخرج الطبيب مندهشاً .

- إن استجـابـاتـك في العلاج تفـوق تصورات العلـم لدينـا إن جسدك تحدى احتمالات الانهيارات كلها .

ووقفت أردد قصيدة محمود درويش :

يا حقـــل التجـــارب
للصـــــناعات الخفيفة والثقـــيلة
يا لحـــم الفلســـــطيني

يبتسم أمل بل ويسعد بالتجربة ، ويفاخر بأنه أول مصري ، بل وأول عربي تناول تلك الجرعـة المكثفة من الإشعاع الذري ، واستطاع أن يفـوق خيال العلم الطبي في احتمالها .

ان الطب يضع احتمالاتــه على جسد إنساني .. لكن الأمـر يختلف أمام جسد الشاعر .

* * *

صرخ جابر عصفور وهو يقرأ غلاف علبة الدواء : سم !

وصمتنا جميعـاً فقد كان الـدواء حقاً سماً سرى في جســد أمل كامــلاً حتى عصفت به في النهاية غيبوبة (البولينا) .

تناول إحدى جرعات هذا السم ، فتشققت ثنايا جسده بالجروح ، صار الجسد جميعه مغطى بأربطة الشاش والقطن بعد أن انفتحت الجروح في كل مكان ، تحت الإبطين ، خلف الأذنين ، في ثنايا الركبتين ، بين أصابع القدم .. ورفض أمل الاستمرار في هذا الدواء وقمت بإعدام العلبة .

وعندما أخبرنا الطبيب بما حدث وافق على إيقاف هذا الدواء .

ـ أكاد أوقن أن أمل لم يهزمه السرطان قدر ما هزمته السموم المعالجة.

كانت قطرات الجلوكوز المذاب فيه الدواء تتساقط قطرة قطرة داخل وريد أمل فيصاب بالجنون .

وحدها كلمات (صلاح جاهين) والتي تغنى بها عبد الحليم حافظ في الستينيات ، كانت هي المسكن الوحيد الذي يدفع أمل لاحتمال عذابات الدواء الذي يحاصره بالإعياء ، والقيء المستمر ، وإظلام الغرفة خمسة أيام متواصلة والعصبية الحادة .

لم يكن الدواء يسمح لعينيه بالقراءة أو مشاهدة التليفزيون ، بل كان يفقده أيضاً القدرة على التركيز .. إن قواه تتبدد تماماً مع إنفجار الدواء القاتل لخلاياه السرطانية والحية في آن واحد .

ولم يكن ممكناً ايقاف جهاز التسجيل وإلا كان معنى ذلك التوقف عن محاليل الدواء ، والتي كانت تبدأ في الصباح ، وتنتهي حتى منتصف الليل .

يوقف جهاز التسجيل ربما أمام كل عبارة أو كلمة أو جملة موسيقية ليشرح لي كيف استخدم الشاعر هنا هذا اللفظ أو هذا المعنى . أو كيف استطاعت هذه الجملة الموسيقية أن تحقق الجمال للصورة الشعرية .. وكيف استطاع الصوت بصدق أدائه أن يحيل عبارات لا تغنى إلى أغنية شاعرية .. لقد استطاع صلاح جاهين كتابة الميثاق شعراً ، وتحويل الثورة المصرية إلى أغنية عاطفية .

كانت الأغنية هي جواز المرور إلى العلاج ، أو هي الحل الوحيد للحالة العصبية الحادة التي تصاحبه .. وكنت أجلس بمواجهته أمسك أحياناً بقلم أسود وورقة بيضاء أمامي في محاولة لرسمه (وأنا لا أجيد الرسم) لكنها كانت نوعاً من إلهاء أمل عن السموم التى تخترقه في هذه اللحظة والتوتر الذي يصاحبها ..

ـ انظر إن الصورة قريبة من ملامحك ..

تنظر الممرضة حقيقة انها تشبهك يا أستاذ أمل .

لا يعلق أمل على الصورة بل يحزن أمام هذا الإلتصاق الشديد به .. ويبادرني :

ـ ما الذي تفعلينه بعد موتى ؟

ـ لا شيء مثلما تفعله أنت بعد موتى .

ثم نهرب مرة أخرى إلى الغناء .

* * *

بدأ الدواء يفقد أمل أعصابه كاملة ، ويحوله إلى مريض مزعج للغاية ، لا يحتمل حتى ذاته ، يخشاه المرضى وتخشاه الممرضات جميعاً حتى كان موعد علاجه بالنسبة لهن موعداً مع الجنون الحاد ، فيأتين جميعاً لإعطائه الحقنة .

أكثر من ٦ أو ٧ ممرضات يقفن جميعاً في حالة إرتباك لإعطاء حقنة واحدة ، لهذا المريض العصبي الذي قد يصرخ في وجوههن ، أو يلقى في أي لحظة بعلاجه ، ويقرر في حسم لا تراجع فيه إلا يتناول العلاج .. وبالفعل يخضع الجميع لمشيئته أو لعناده ، وتبدأ محاولات تهدئته حتى يتناول العلاج في اليوم التالي دون قلق وتوتر .

يسأل عن أدق التفصيلات الخاصة بالعلاج والمرض مهما كانت

خطـورتها.. ويتأكد من صدق معـلومات الطـبيب بسـؤال طـبيب ثان وثـالث ورابـع .

يقارن بين نتـائج التحليلات المستمـرة وتقارير الأشعـة ويأخـذ العلاج في اللحظة التي يقررهـا هو .. بل يختار الوريد الذي يمكن للممـرضة أن تضع له فيه حقنة الدواء معلناً إذا اعترضت الممرضة أنه أدرى بأوردته منها .. ويطالبنى بالإطلاع على الدواء الـذى أمامه ـ رغم وقوف الممرضات جميعـاً ـ حتى يمكنه الإطمئنان .

كان كثير التسـاؤل حول كل خليـة في جسده لمحـاولة الوصـول إلى طبيعة تكوينه الجسمي وتفاعلاته حتى يتمكن من علاج ذاته بذاته .. كل شيء مرهون لديه بالإرادة شرط أن يحاول الإنسان .

أتذكر وجهـه في المرآه وهو يحاول خلع إحدى ضروسه بكماشة حـديدية .. هكذا بدون بنج .. (إن الإرادة وحدها هي القادرة على هذا التجاوز) .

صرخت بفزع :

ـ هذا جنون .. وأسرعت من أمامه حتى لا أشاهد هذه المذبحة .

ثم أعود إليه بعد قليل :

هل مت ؟

لا يلتفـت إلى .. ويظل يـواصـل نزع ضروسـه بـالكماشة . ينجـح في إتمام التجربة ، فيهدينى ضرسه معجباً بهذه القدرة الهرقلية .

أعتذر عن الهدية

ـ لا أريد أن أكون زوجة لأسطورة !

كانت إصـابته بالصداع تعنـى أيضاً مشواراً مكثفاً مـع الإرادة لإخراج هذا الصداع مـن الرأس .. إنها تجربة علمهـا له صديقنـا الراحل المهنـدس (حسن فهمي) والد الفنانة فريدة فهمي ..

يصر على حصار الألم ذهنياً ، ثم محاولة زحزحته من منطقته حتى يصل إلى إخراجه نهائياً من عينيه .

ولا أدري حتى الآن كيف كانت تتم هذه التجربة ، بل كنت ومازلت دائمة الشك في صحتها ، لكن شكل التجربة وطبيعتها كانت تستهويني فأبدأ في ممارستها عند أول صداع أشعر به ، ولا أصل بالطبع إلى شيء .

يضحك أمل على فشلي المتكرر مفسراً أسبابه : أنت فقط تروقك التجربة دون أن تمتلكي مقدرة دخولها .. إن العربة لا تأتي أمام الحصان .

« غيبوبة الموسيقى »

إزدادت حالة أمل سوءاً

في كل يوم ترتفع نسبة البولينا في الدم يوماً بعد الآخر ، فيؤجل الطبيب علاج السرطان الذي يتعارض مع وجود البولينا .

(أدوية السرطان تصيب الجسد بالتسمم (البولينا) ، ووجود البولينا يوقف إمكانية تعاطي أدوية السرطان !) .

انخفضت نسبة البولينا قليلاً فأخذ أمل العلاج ، فتفاقمت البولينا وكانت النهاية المحتمة .

ولا أدري لماذا ذكر أمل (أنني أشعر أن هذا آخر علاج سأتناوله) ولا أدري لماذا رددت ذلك أنا أيضاً إلى بعض الأصدقاء ، دون أن يمر في خاطري الموت ، أو على الأقل دون أن أنتظره .

يبدو أن حضور الموت كان طاغياً ، نمتلئ به إلى حد عدم الإحساس به .

وانهار كل شيء في جسد أمل بعد اسبوع واحد ، وبشكل فجائي .

بدأت أجهزته تتوقف عضواً عضواً ، فلا يتمكن من التقلب من الجانب الأيمن إلى الجانب الأيسر ، بل حتى دون أن يستطيع رفع نصفه الأعلى للجلوس فوق سريره .

كانت يداه الممدودتان المرفوعتان ، تطالبني بتحريكه (حين عجز عن الكلام) هي أقصى صور العذاب التي يمكن أن أراها .

انخفضت نسبة الدم فسأل أمل الطبيب :

ـ هل يمكن نقل دم إلى ؟

قال الطبيب : جسدك لم يعد يحتمل !

ـــ هل يمكــن نقلي إلى مستشفى القصر العينــي ، لإجـراء عملية غسيـل الكلى؟

قال الطبيب الشاب والذي لم يباشر يوماً علاج أمل :

ـ لا أعتقد فقد أصبت بفشل كلوى !

كان ذلك يعني الموت .

وصرخت في وجه الطبيب : لا يمكن أن تكون انساناً .

قال طبيب آخر جواره : يمكنكم نقله إلى بلدته إذا أردتم .

وفهمت عبارته ، لكني سألته بحدة : **لماذا ؟**

لم يستطع الطبيب إجابتي ، وقال : **مجرد اقتراح !**

ردد بعض الأصدقاء اقتراح الطبيب ، فرفضت بشدة مرددة : مازال الله في السماء .

...

صمم أمل بعد أن فاجأه الطبيب بالفشل الكلوي على كتابة وصيته ، رفضت الاستماع إليها ، فراح يحدث جابر عصفور عـن تفاصيل الوصية ، وتفصيلات الجنازة مطالباً باتخاذ موقف عقلاني هادئ ، وجابر مندهش أمام تلك الصلابة الخرافية من رجل يتحدث بهدوء عن جنازته القريبة !

في تلك الفترة حدث شيء كان هو الرحمة القـادمة من السماء ، لقد طلب أمل التبول ، وصرخت فرحاً :

ـ هل تأكدت ، لقد كذب الطبيب ، الفشل الكلوي يمنعك من التبول ، فلا داعي للخوف .

ابتسم أمل ، أمام هذا البصيص من الفرح ، وتلك الرحمة المهداه بالإحساس بالأمل من جديد ، والتي منحها له الله قبيل الدخول في الغيبوبة .

أحياناً يكون بصيص الأمل لليائس ، أقوى كثيراً من تحققه .

وكان الجميع يعلم أننا نتعلق في الهواء .

* * *

دخـل أمـــل الغيـبوبة فانكشـــف وجـدانه أمـــامنا عالمـاً مـــن الموسيقى والغناء

يا ناعسة لا لا لا لا

خلصت مني القواله

والسهم اللى رماني

هالكني لا محالة

كانت كلمات هذه الأغنية لعبدالرحمن الأبنودي ، هي آخر ما أراد أمل سماعه

وكان قد استمـــع إليها مرة واحدة فقط قبـل شـهرين ، عندما غنـاها (محمد قنديل) في حفل تليفزيوني .. وسألني هل لفت نظرك شيء في الأغنية ؟

قلت : لا

قال : إن كلماتها غريبة !

استمعنا جميعـاً إلى هذه الأغنية الغـريبة ، كلما استيقـظ أمل من غيبـوبته فأدركنـا أن الموت قادم لا محالة ، وأدركـت لماذا استخدم أمـل في وصف كلمات الأغنية الغرابة .. لا بد إنه يقصد أن الأبنودي يرثيه **شخصياً !**

اقتربت منه :

ـ هل أنت حزين ؟

أشار وهو عاجز عن الكلام تماماً بأن نعم .

إنها المرة الأولى التي يقول فيها (نعم) .. إنه القرار الذاتي بالموت .

يتوقف هذا المشـهد كثيراً أمام عينى ، كـأنه ينقل سره إلى ، فأقتنع معه بقرار الموت، وميراث الحزن الذي لا ينتهي .

(حين ترينني عاجزاً ، تمني لي الموت .. فهو رحمتي الوحيدة) .هكذا أعلن أمل الموت ، لكنه كطبيعته مـا زال حتى النفس الأخير ، يحلم بالمقـاومة ، في منتصف الليل ، قبيـل وفاتـه بسـاعـات قليلة زاره ناصر الخطيـب مديـر مكتب جـريدة الرياض بالقاهرة ، أيقظ أمل من غيبوبته ، وهمس في أذنه باكياً :

ـ أمل قاوم .

فتح أمل عينيه وبصعوبة في النطق أجاب : لا أملك سوى المقاومة .

ثم راح في غيبوبة .

في الثالثة صبـاحاً ، حاول نزع حقنة الجلـوكوز من يده ، رفضـت المرضة وشقيقـه نزع الحقنـة ، وأمسـك كـل منهما بيديـه بقـوة حتـى لا يتمكن مـن انتزاعـها .

ولم يكن يقوى على الصراخ في وجوههم ، نظر إلى ، كـانت عيناه تطلبان مني الراحة .

نزعت حقنة الجلوكوز من يده : **يمكنك أن ترتاح .**

أغمض عينيه في هدوء ، ودخل في غيبوبة أخيرة .

*** السبت ٢١ مايو : ـ**

الثامنة صباحاً

كان وجهه هادئاً وهم يغلقون عينيه

وكان هدوئي مستحيلاً وأنا أفتح عينى

وحده السرطان كان يصرخ

ووحده الموت كان يبكي قسوته .

● (ملحق مسودات القصائد)

[مسودة قصيدة الخيول في كتابتها الأولى ١٩٨١]

[مسودة قصيدة الخيول في كتابتها الأولى١٩٨٣]

[مسودة قصيدة محمود حسن إسماعيل]

[مسودة قصيدة الفارس]

[مسودة قصيدة الأحجار]

[مسودة قصيدة الخيول فى كتابتها الاولى ١٩٨١]

الفتوحات - في الأرض - مكتوبة بدماء الخيول .
وحدود الممالك
رسمتها السنابك
والركابان كانتا هما الكفتان
لميزان عدل يميل مع السيف حيث يميل

* *

اركضي أو قفي الآن أيتها الخيل
لست المغيرات صبحا ، ولا العاديات - كما قيل - ضبحا
ولا خضرة في طريقك تمحى
ولا طفل أضحى إذا ما مررت به يتنحى .
لن تفتح المدن الآن أبوابها .
ولن تتزين سوسنها ، وترد الجميلة خطابها
ولن - حول كوكبة الفرس الملكي - تدق الطبول .

اركضي كالسلاحف
نحو زوايا المتاحف ..

صيري تماثيل من حجر في الميادين
صيري أراجيح من خشب في سرادق الملاهي ،
~~[illegible]~~
دمى يتملكها الصغار - فتهتز أرجلها الخشبية ذات العراجين .

صيرة حجر ستة السنين فوارس على منابع العرائس في واجهة الدكاكين

صيرى رسوما تزين بيوت الذين يعودون من رحلة الحرمين

ووشما على سواعد الذين يعيشون لا يملكون سوى السامرين .

الذين [illegible] يشقون في الأرض درب الأفول

ويحيون . حتى السعال يجف بهم ..

متماهين في رشفات الصهيل !

*

الماء هو الماء .

والنهر هو النهر .

لكن الأشياء

تبادل الدهر .

*

اركضي أو قفي .

ضعي شيئا لمع .

واخترت أن تذهبي في الطريق الذي يتراجع

تحت الشمس

تحت الهمس

تحت الطرق الجبلية للعودة التي تتكدس في ظلام العظام ،

الظلم ..

فالبنايات والشجر السالفات تغمره الآن غيوم القاع

حتى جاءت الصبابة والحزن تخفض في الصعق جرحه ..

إلى العودة الأبدية .

كل الينابيع في قاعه تختفي

وهو لا يكتفي !

٥

قد يضيع الاصحاب
الكثير من زهو
لكن الإصرار
لا يحتاج الكثير .

.

اركضي للقرار .
واركضي أو قفي في طريق الفرار
تتساوى محصلة الركض والوقف في الأرض.
ماذا لديَّ الآن ؟ ماذا ؟
سوى عرق يتصبب من تعب
سيغدو دنانير من ذهب
في جيوب حواة سلوتك العربية ،
في عباءة المراهقة الدائرية ،
في نزهة المركبات السياحية المشتراة
وفي الشقة المشتراة على النيل
وفي المرأة الأجنبية تقول لك - معقوفة الأنف -
ثمة طول إلى الهول..
هذا الذي كسرة انفه لعنة الانتظار الطويل .

.

لي لي [illegible]
هناك ضحى النهر
وتلك الخيلاء
ثمة منابع العشق .

١

كانت الخيل - في البدء - كالناس برية تتراكض عبر السهول
كانت الخيل كالناس في البدء
تتملك الشمس والعشب والملكوت الظليل.

ظهرها لم يهيأ لكي يركب القادة الفاتحون
ولم يعرف الجسد المرتقة سياط المروض.
والفم لم يشكل اللجام
ولم تكن القدمان [illegible] مشكولتين.
ولم تكن الزاد بالكاد
حتى الحوافر لم يك يثقلها السنبك المعدني الصقيل.

كانت الخيل برية
تتنفس حرية
مثلما يتنفسها الناس في ذلك الزمن الذهبي النبيل.

ثم شاء لمن شاء
أن يخيف الظبى
واستسلم الجياد
تحت سياط القهر.

الخيول تسائل عن قصة يجهلها الناس عبر المكان
فالفتنا مشاة وركبان.
ونرحل من حي يكذب عن الخيل..
ألقوا أعنتها خلف سور الزمان
فغدوا أشباح أشباه فرسان.
[illegible]
وظلوا مشاة على طرقات الهوان.

[مسودة قصيدة الخيول فى كتابتها الثانية ١٩٨٣]

٢٩ صفر ١ كيهك — DECEMBER ديسمبر

صبرى أراجيح من خشب في سواقي المدى معلقة

[illegible] في لجة

دمية تتهزهز أزهار [illegible]

العكسية [illegible]

فوق ذات العاصين

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فوارس [illegible]

[illegible] الذين هم دون مرحلة الرضيع .

[illegible]

[illegible] الذين [illegible]

الذي [illegible]

الذين [illegible] في [illegible] .

كفن .

ارتعش [illegible] أدفئني.

[illegible].

زمن يتقاطع.

[illegible]

[illegible] أن تذهب في الطريق الذي يتراجع

تنكسر الشمس.

يتجمد الزمن.

تتحرر الطاقة الجميلة للروح التي تتكدس منذ [illegible] نظام النظام.

[illegible].

[illegible] النازلة والسرية إلى [illegible].

تتحرك الآن في الفراغ..

[illegible].

[illegible]..

متى جاء التذكر يحترق [illegible] تتعرى الصور..

[illegible] طريقها إلى الروح

[illegible] الأبدية..

[illegible]

[illegible] في [illegible] تمضي. وهو لا يبقى.

[illegible]

التفه في الأسئلة الجادة . الركض للقرار.

[illegible]

والركض في طريقه للوراء.

[illegible]

تشاهد وجهه الركض مركض في الوقت

معاً..

[illegible]

في طبقات المراهقة الداخلية.

[illegible]

[illegible]

في زحمة المكتبة بساعية [illegible]

في [illegible]

في [illegible]

في المرآة الأجنبية [illegible]

[illegible]

معقوفة الأرقف تحت ظلال الأبواب [illegible]

الذي تسير اليه [illegible] .

العبد .

لأن خيله [illegible] بعد [illegible] [illegible] التي عبر الحقول (السهول)

كانت الخيل والبيادر [illegible]

تفتح الخندق [illegible] والسنابل [illegible]

للرصاص [illegible] القاتلة [illegible].

ولم يطف الجسد الحر [illegible] المرضى.

والنجم لم [illegible] لم تشكل [illegible] [illegible].

ولم تلد التربة [illegible] [illegible].

[illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

كانت الخيل [illegible]

[illegible] [illegible].

[illegible] [illegible] النص في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible]

الكنول لهم من مشقة عبر النسيان للنسيم أطفأه.

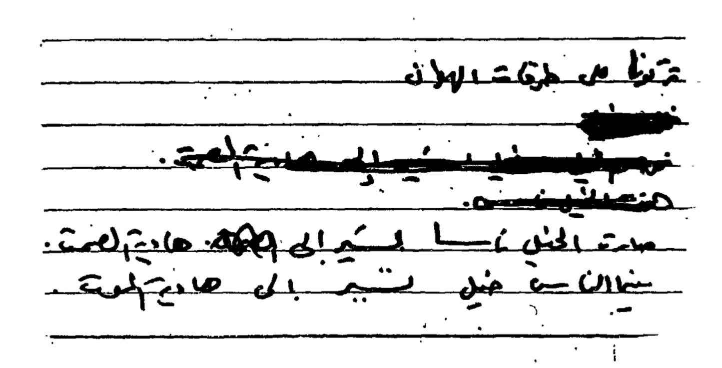
[illegible] فانقشع مشاة [illegible] وركبانه.

[illegible]

وترجل من يركبون من الخيل والعربات الا عنة [illegible] الزمان.

[illegible]

شتدوا [illegible] سباع زمانه



تقرؤنا من حركات الهلاك

[illegible]

[illegible].

[illegible].

صارت الحياة تسير بسرعة إلى [illegible] هاوية الصمت.

مثلما سنة خيل تسير إلى هاوية الموت.

[مسودة قصيدة محمود حسن اسماعيل]

واحد من جنودك يا سيدي

قطعوا يوم مؤتة مني اليدين

فاحتضنت لواءك بالمرفقين .

واحتسبت لواءك مستشهدا .

واحد من جنودك يا أيها الشعر

هل يصل الصوت

والرؤى [illegible] المنابر محفوظة في [illegible]

[illegible]

[illegible]

مشروخة [illegible] بالسامر ..

هل يصل الصوت يا سيدي .

والمنابر [illegible]

مرصودة بالنواظر .

هل يصل الصوت [illegible] .

[illegible]

هل يصل الصوت . .

أم تصل الموت

[illegible] فإني أنا دليلي .

واحدمه جنودك يا سيدي
ألف سيف وحربة
واحتوتك الكروش
فعرفت موتك أين غدى!

[illegible]
من زمن الشعراء - الإنشاد.
للشعراء السواجيد.
من زمن الشعراء الصعاليك
للشعراء [illegible].

كل الأشياء يتجلون [illegible]

الجبه - تميمة حتى تميمة حتى تميمة [illegible] -
الشير - تسيرة حتى تشرب حتى [illegible] تعثرت. و[illegible] ويزحل سُكنا فسيشا عن العين.
[illegible] ألفة هذا الوطن.

[illegible]
[illegible] تتغرب [illegible] ، تضيع الغربة في التأبيد.
[illegible]

[illegible]

[illegible]

NOTES [illegible]

[illegible] في صف الدم إلا أيام القتاد
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

اعتزازها.

[illegible]

ما اثارا اعتزوه ما بين رض.

[illegible] والقدم [illegible] معلقتان بغصنين،

[illegible]

[illegible]

واحباب في الحشر البشر.

[illegible] البشر.

[illegible] شجرة. في لغة. في لغة

انمو، تمنيت في نبتة. في [illegible].

ابن المطر.

وابن المطر

[مسودة قصيدة الفارس]

لا تنظري في مبسم الفارس

[illegible]

[illegible]

[illegible]

من يمنع منه القلب فما دا .

ومسير شفرة البرد القارس .

ويهدد البرد القارس .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

واحد من جنوده يا ~~[illegible]~~ أيها السكر

كل الأحباء يرحلون

ويرحل شيئاً فشيئاً عن العين ألفة هذا الوطن

نتعرى في الأرض . نضيع أغربة في التأبين .

نبكي خريف البساتين .

لا تستوقفنا في صحف اليوم إلا أسماء الغائبين

نقرؤها دون أن نطرف الجفن .

سرعان ما نبلغ الصفحات قبيل الأخيرة

ندخلها ، ~~[illegible]~~ ونجالس أخوتنا ~~[illegible]~~

فنعود لنا ألفة الأصدقاء

تعود لنا الحيوية والدهشة العرضية

والأمن والحزن ،

هذا هو العالم الشجي لنا : إنه الصمت

والسواد هو الأهل والبيت .

إن البياض الوحيد الذي نرتجيه

البياض الوحيد الذي نتوحد فيه : بياض الكفن !

واحد من جنوده يا سيدي

خبز الشهيد صمته

ما خوّلنا بل ربّه

والبهاء نفسه للسجود ،

واحد من جنوده في الأرض . ليس له منزل ليعود إليه.
ولا نهر من ماء لمستقبل

تقرئين هنالك العربي السلام

والسلام على على من رحل

نتعلى نايات الغرباء .
ومضى حبيبه بالرحيل

انني أتركه اقرئي هنالك العربي السلام
والسلام على من رحل
والسلام على من أقام

[مسودة قصيدة الاحجار]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

يا سيدة الأحجار لا تقفي كالآلهة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لا بيت ~~[illegible]~~ الجدران كحلا ؟

ولكن ريح تؤكد.

تريدين أن تمشي مع الشال —

رقيقة، شفافة، ورقا

لأنك شفافة هادئة ونحيلا.

لم تحدثه الأرواح عن شكلها [illegible] ندوبة

فصنعتك نوعه بعض صفات كما تحب ناطقة.

منه انتهيت الحب الواحد (من المتعة)

ونفسي [illegible]، بيننا مسافة صور أبدا.

لكنك تمتصين صحرا للتيل ، كما الحر

الإصغاء كلمة [illegible] الحكمة والأيام [illegible] العمر.

العباد أنكروا المعز.
[illegible]
واعتادوا الحذر والشر
السر. تشرق. حتى تعشق. حتى تعرف
الحب. تسمية. حتى تسمية حتى تحس

ابن المعز، وابن القمر.

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
فلن نتشمس إلا بسبب النور.

للخفافيش أسماء التي تتشمس بي
نحن نتشمس إذا انتشر النور.
[illegible]
[illegible]
[illegible]
والنور [illegible] الشمس.
[illegible]
[illegible]
والنور نسب للشمس.
ولكن الشمس سبب لأن هالات العالات.
هل طلع السبب من شرب أم من الاحمرار.
وبانت سعاد من البردة النبوية.
أم من فلسفة اللاهوتية الحزن.

واحد من جنودك يا سيدي
العربية ومية
واحتوتك اللاشيء
تعرفت تموتك أسير محمدي!

نور لسعته

حملتها آخر حب لديه

وآخر زاد في التعب

وآخر نجم أن تفتته

[illegible] تضيء أريحيته [illegible] .

[illegible] أريحية [illegible] .

وتضيء

أريحية [illegible]

[illegible]

[illegible] أريحية

أريحية الفجر البادي [illegible] كي [illegible] ملكة

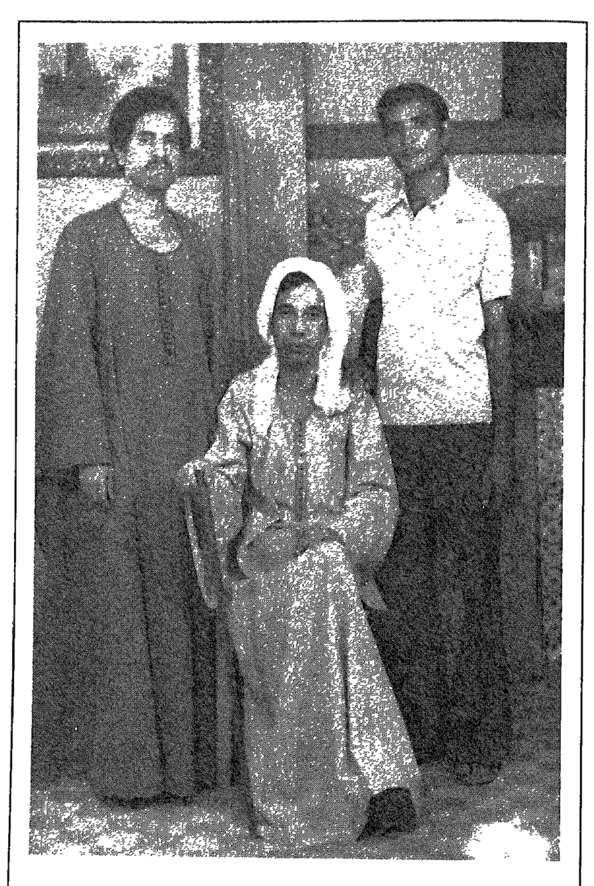
[illegible] [illegible]

كالريح قبلها . [illegible] .

وتغني [illegible] وتغني [illegible]

تملك [illegible] ، والأحلام وتغني [illegible] لا نعيش [illegible]

[illegible]



أمل دنقل فى ملابسه الصعيديه مع أبناء عمومته ١٩٧٨م



أمــل دنقل فــى حفلة مدرسة التحـــرير الأعدادية فى شــهر فبراير ١٩٥٩



فضيلة الشيخ أبو القاسم دنقل

والد أمل دنقل



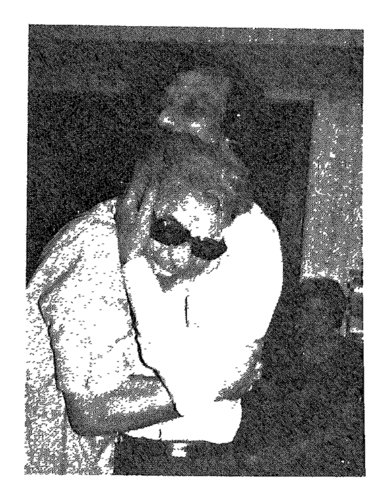
حفل زفاف أمل دنقل وعبله الروينى



أمل دنقل وعبله الروينى ـ الفيوم ١٩٧٩



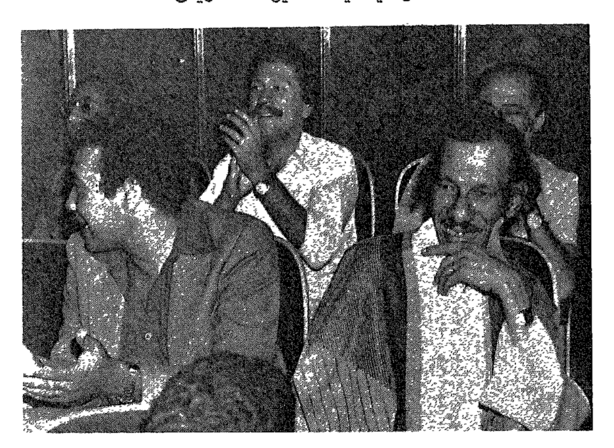
أمل دنقل وعبله الروينى - الفيوم ٩ / ٣ / ١٩٧٩



أمل دنقل والكاتب
سليمان فيــاض



حفل عيد ميلاد د . يوسف أدريس



آخر أمسية شعرية لأمل دنقل فى مهرجان حافظ وشوقى



أمل دنقل وملك عبد العزيز و د. عبد المحسن طه بدر



أمل دنقـل ولويـس عوض وجـابر عصفـور ومحمد بـدوى فى غرفـة معهد السرطـان



أمل دنقل وجابر عصفور وعبد السلام أمين



أمل دنقل والشاعر عبد الرحمن الأبنودى



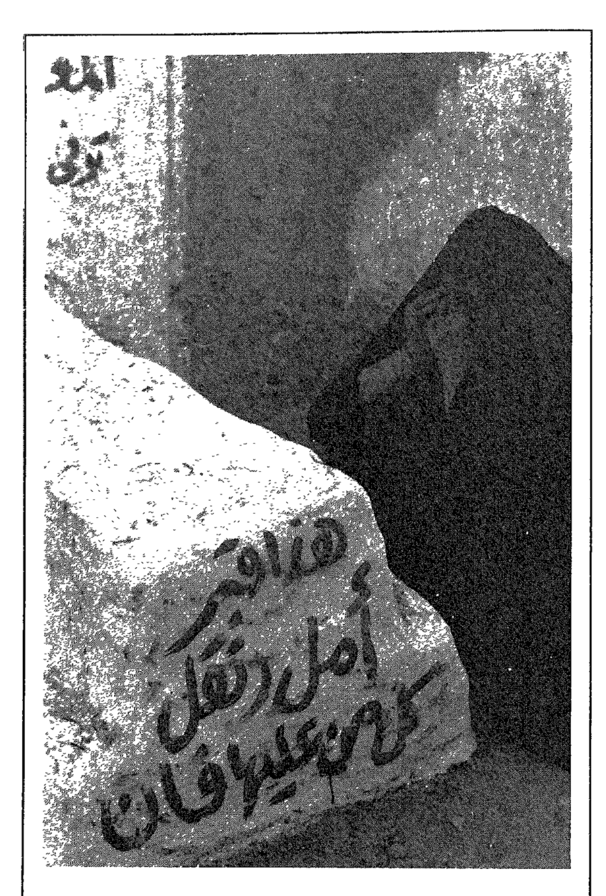
أمل دنقل فى الغرفة رقم (٨) بمستشفى معهد السرطان



أمل دنقل على سرير المرض



والدة أمل دنقل فى غرفته بالمستشفى



والدة أمل دنقل على قبره كما صورتها المخرجة عطيات الأبنودى

الفهــــرس

مطابع الشروق

القاهرة ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٣٤٨١٤

بيروت ص ب ٨٠٦٤ ـ هاتف ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣

■ دار سعاد الصباح

للنشر والتوزيع

هي مؤسسة ثقافية عربية مسجلة بدولة الكويت وجمهورية مصر العربية وتهدف إلي نشر ما هو جدير بالنشر من روائع التراث العربي والثقافة العربية المعاصرة والتجارب الابداعية للشباب العربي من المحيط إلى الخليج وكذا ترجمة ونشر روائع الثقافات الأخرى حتى تكون في متناول أبناء الأمة فهذه الدار هي حلقة وصل بين التراث والمعاصرةوبين كبار المبدعين وشبابهم وهى نافذة للعرب على العالم ونافذة للعالم على الأمة العربية وتلتزم الدار فيما تنشره بمعايير تضعها هيئة مستقلة من كبار المفكرين العرب في مجالات الابداع المختلفة.

دار سعاد الصباح
ص.ب : ٢٧٢٨٠
الصفاة ١٣١٣٣ ـ الكويت
ص. ب: ١٣ المقطم ـ القاهرة

